الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
-البويرة-
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
Tasdawit Akli Muḥend Ulḥağ - Tubirest -
Faculté des Lettres et des Langues

المجلس العلمي

مطبوعة

في مقياس الخطاب الشعري المغاربي الحديث

موجهة إلى طلبة السنة الأولى ماستر أدب عربي حديث ومعاصر

إعداد

الدكتور عبد القادر لباشي

الموسم الجامعي: 2021-2022

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
- البويرة -
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي
Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
Tasdawit Akli Muhend Ulhag - Tubirett -
Faculté des Lettres et des Langues

جامعة أكلي محند أولحاج - البويرة
المجلس العلمي
كلية الآداب واللغات

مطبوعة

في مقياس الخطاب الشعري المغاربي الحديث

موجهة إلى طلبة السنة الأولى ماستر أدب عربي حديث ومعاصر

إعداد

الدكتور عبد القادر لباشي

الموسم الجامعي: 2021-2022

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
- البويرة -
كلية الآداب واللغات

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
ⵜⴰⵙⴷⴰⵡⵉⵜ ⴰⴽⵍⵉ ⵎⵓⵃⴻⵏⴷ ⵓⵍⵃⴰⵊ - ⵜⵓⴱⵉⵔⴻⵜ -
Faculté des Lettres et des Langues

جامعة البويرة

الرقم: ٤٨ / م ع / ك آ ل/ج ب 2022

مستخرج من محضر اجتماع المجلس العلمي للكلية

خاص بـ:

ملفات المطبوعات البيداغوجية

صادق المجلس العلمي في اجتماعه يوم 2022/04/26 على المطبوعة البيداغوجية للأستاذ: عبد القادر لباشي من قسم اللغة والأدب العربي و التي تحمل عنوان: (مادة الخطاب الشعري المغاربي الحديث) موجهة لطلبة السنة الأولى ماستر، تخصص: أدب حديث و معاصر، و قد حظيت المطبوعة بتزكية المجلس العلمي بناء على التقريرين الإيجابيين للخبيرين اللذين أجمعا على توفر المطبوعة على الشروط العلمية والمنهجية المطلوبة.

الخبير	الصفة	جامعة الإنتماء
د/ختيم عزوز	أستاذ محاضر- أ-	جامعة محمد بوضياف – المسيلة-
د/رابح ملوك	أستاذ التعليم العالي	جامعة محند أكلي أولحاج – البويرة-

رئيس المجلس العلمي للكلية/

رئيس المجلس العلمي
الأستاذ: طهراوي بوعلام

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
- البويرة -
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي
Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
Tasdawit Akli Muhend Ulhag - Tubirett -
Faculté des Lettres et des Langues

المجلس العلمي

مطبوعة

في مقياس الخطاب الشعري المغاربي الحديث

موجهة إلى طلبة السنة الأولى ماستر أدب عربي حديث ومعاصر

إعداد

الدكتور عبد القادر لباشي

الموسم الجامعي: 2021-2022

مقدمة:

مقدمة

تتناول هذه المحاضرات جوانب فكرية وفنية تميز بها الشعر المغاربي في مرحلة تاريخية ممتدة من النصف الثاني من القرن التاسع عشر إلى غاية التجارب الشعرية المعاصرة التي كانت ثمرات طيبة لاتصال المغاربيين بالآداب العالمية.

وركزت هذه المحاضرات على الشعر التونسي في البداية راصدة ما عرفه من بدايات هامة تلتها مسارات متشعبة سمحت للتجربة الشعرية التونسية بأن تنمو وتتطور من خلال مجموعة من الرواد، كما تتبعت الطموح الشعري الذي رفع لواء التحديث باسم الشعر العصري ثم عرض مرحلة هامة وسطى من مراحل تطوره الذي عاشه بين سنتي 1934-1958 ، وهي مرحلة مليئة بالتقلبات السياسية والاجتماعية والثقافية، وكان الشعر جزءا منها فاعلا منفعلا في الوقت نفسه.

ولعل ابرز دور حرك المشهد الشعري التونسي كان بفضل الرباعي المكون من أبي القاسم الشابي والبشروش والحليوي وصمادح، انطلاقا من الشابي الذي حوّل ذاته وتجاربها الحميمة إلى حساسية عامة مشتركة ونبع فني فياض دال على الذات الجمعية والذات الخاصة بكثير من التلاحم والحلول خاصة، وقد صار الإحساس بالواقع المضطرب المخيف هاجسا مشتركا بين الذات والنص مما ولد كثيرا من التحدي المستميت.

ولقد تناولت الدراسة الشعر المغربي الحديث متبعة إياه بدءا من أواخر القرن التاسع عشر إلى أوائل القرن العشرين وهي مرحلة مضطربة سياسيا وثقافيا لتأثرها بالأحداث الدامية التي عرفتها البلاد المغاربية التي كانت في تحد لثلاث قوى استعمارية فرنسا وإسبانيا وإيطاليا. ورغم ذلك فقد كانت ثلاثينيات القرن العشرين مرحلة من المراحل الهامة التي مهدت للصوت الشعري المغربي الجديد الذي توج بشعر النهضة، ليأتي بعده شعور جديد اتسم بالروح الرومنسية في الأربعينيات، وبالرغم من كل ذلك فقد استمر الشعور القديم التقليدي الذي أثر في المعجم والصورة والإيقاع.

وتتناول المحاضرات جوانب من مسيرة الشعر الليبي في المراحل التاريخية ذاتها مركزة على الأصوات الهامة التي جسدتها وقدمت عددا كبيرا من العلامات الدالة على مسيرة الإنسان الليبي الذي كان وما زال يسعى إلى بناء نص جديد وحياة جديدة، وختمت هذه القراءات بمختارات من الشعر المغاربي التي يمكن من خلالها تمثل المسرات والمحطات والتطورات التي عاشها الشعر المغاربي منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر إلى الآن.

تمهيد

1- الشعر التونسي الحديث (البدايات والمسارات)

إنّ المتأمل لمسار الشعر التونسي خلال القرن التاسع عشر يلحظ أنّه كان على خطى الشعر العربي الحديث في المشرق، فقد عرف التقليد في موضوعاته وأساليبه، ثم تميز منذ نهاية القرن بالثراء والتنوع : ففضلا عن الشعر التقليدي الذي لم يحد عن إيقاع القصيدة التقليدية التراثية وشتى أغراضها من مدح ورثاء وغزل ووصف طبيعة... فقد تولد عن حركة الإصلاح الذي بدأ في عهد المشير أحمد باشا لون من الشعر جديد عالج قضايا العصر، خاصة لدى أبي الثناء محمود قبادو الشريف التونسي (1813-1871) الذي صار شاعر عصره بلا منازع[1] .

بعد هذا التاريخ ظهرت إلى الوجود حركة شعرية رائدة عرفت باسم" الشعر العصري"، تأثرا بمصطلحي الحداثة modernity والتحديث modernism اللذين سادا خلال القرن العشرين في أوروبا عامة وفرنسا خاصة، وامتدّ حضور هذه الموجة حتى ثلاثينيات القرن العشرين، وكان من أبرز أعلامها المؤسسين محمد السنوسي (1851-1900) وصالح السويسي القيرواني (1871-1941) ([2]) الذي غلب على شعره توجهه الإصلاحي، كما يظهر ذلك في قوله:

أفيقوا يا بني الوطن المعلّى فقد طالت بكم سِنة الرقاد

أفيقوا واذكروا تاريخ مجد لآباء لهم بيض الأيادي

فقد كانوا ذوي عزم وحزم وعلم قد أضاء على البلاد

وهم عمروا وساسوا الملك حق سياسة قائد سلس القياد

فدان الناس وامتثلوا وطاعوا [3] وفاؤوا للتمدن والرشاد ...[4]

---

[1]- ينظر في ما يخص هذا الموضوع: محمد الصالح بن عمر، الشعر التونسي في قرن ونصف، 1861-2011، على النات مشارف على الرابط التالي: http://www.masharif.com/ar/2020/05/21/%D8%A7%D9%84%D8

[2]- اختلفت روايات سنة مولده فهي 1871-1874-1878 هذا ما أشار إليه جامع ديوانه، ص4

[3] طاع بمعنى أطاع. ينظر المنجد، ومنه قول الشاعر:

حلفت بالبيت وما حوله من عائذ بالبيت أو طاعِ أي أو طائع ، ص2720

[4]- ديوان صالح سويسي القيرواني، حياته ومختار من كتاباته، دراسة واختيار أحمد بن عبد الله، المركز الوطني للاتصال الثقافي، تونس، مطبعة المغرب تونس، ط1، 2000، ص139، وينظر: محمد علي آذرشب، الزيتونيون والشعر التونسي الحديث، ثقافتنا للدراسات والبحوث، ج5، عدد 1429،17- 2008

فقد اعتمد الشاعر البلاغة العربية العتيقة منطلقا له في التعبير عن تجربته، من ذلك ما نجده في الكناية التقليدية "بيض الأيادي" والجناس الناقص بين حزم وعزم، والطباق بين السّنة والنوم: إذ الأولى غفوة قصيرة أمّا الثانية فنوم طويل "سِنة الرقاد". قال تعالى في أمر أصحاب الكهف، وقال تعالى كذلك (يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدّق المرسلون) (يس 52)، (وتحسبهم أيقاظا وهم رقود) (الكهف 18) وهذا يعطينا صورة عن الخلفية التراثية والدينية التي ساهمت في تشكيل نص الشاعر صالح السويسي.

ومن الشعراء كذلك حسن المزّوغي (1843-1897) ومحمد النخلي (1868- 1924) ومحمد الباجي المسعودي(1226-1298 هـ1811-1880 م) الذي تناول وصف عدد من المدن التونسية ومن وصفه لنابل قوله (المجتث):

سعَى بكأسِ الشَّراب مَنْ وَعْدُهُ كالسَّرابِ
أنسُ بني العصر طرا لا البدر تحت السحاب
للهِ يومٌ نَعِمْنا من بعد طولِ العتاب
وبعدَ هجْرٍ وصَدٍّ وقطْعِ ردِّ الجواب
فقلتُ يا مَنْ سقاني من قبلُ خمرَ الرُّضاب
لِمْ لا ترقُّ لما بي من لوعةٍ وعذاب
فقال لي أنتَ أدرى بحالِ أهل التَّصابي
وإن تجاهلْتَ فادرِ سُلوانَ ذي الإكْتِئاب
سقى رُباها سحابٌ يُزري بكأسِ الشراب
وجادَها كلُّ قَطْرٍ لألاؤهُ كالحَباب
وأضحكَ الزهرُ فيها ما في الرُّبا والهِضاب[1]

---

1 - ينظر معجم البابطين، محمد الباجي بن محمد المسعودي البوبكري التبرسقي- https://www.almoajam.org/lists/inner/5411 اطلع عليه يوم 12 فيفري 2020

ففي النص تظهر الحاسة النغمية الدقيقة من خلال المجتث (مستفعلن فاعلاتن) كما تبدو النزعة التصنيعية في اختيار الألفاظ المتناسقة المتآلفة: الشراب السراب والصد والرد والتضاد بين الربى والهضاب – والموحية بالتضاد كما في كل من البدر والسحاب...

ثم واصل المهمة محمد الخضر حسين (1873–1958)، الذي ساهم في تطور الشعر التونسي انطلاقا من الروح الإصلاحية الدينية فكان يدعو إلى الأخذ بأسباب التقدم للحاق بالأمم الراقية، فكان ذلك جانبا من الاهتمام بما سمي بالشعر العصري، ومنهم كذلك محمد الشاذلي خزنه دار(1881– 1954) ومصطفى آغا (1877– 1946) وبلحسن بن شعبان (1897 – 1963) [1] وأسماء كثيرة تدلّ على مدى جدية عملية التحديث التي غدت مشروعا هاما في الحياة الأدبية التونسية؛ فقد دعت تلك الحركة إلى تجاوز أغراض الشعر العربي القديم لفتح القصيدة على قضايا العصر للتفاعل مع مظاهر التقدم التي أفرزتها الحضارة الغربية الحديثة[2]، وكان هذا الأمر طبيعيا بعد أن اطلعت النخبة التونسية على ما حققته الثقافة الأوربية من تطور، لكن متأمل مدونات أولئك الشعراء يلاحظ غلبة سمة التسجيلية السريعة عليها فهي لا تدل على تجارب عميقة أو أصيلة، كما أنها غير متصلة بقضايا الوجود الإنساني العام، وقد يكون ارتباطها بالخلفية التراثية أهم سبب لهذه الظاهرة.[3]

أما عشرينيات القرن العشرين فتتميز بتجربة "سعيد أبو بكر (1899–1948)، الذي صاغ قصائد على بحور ابتكرها بفضل سعة اطلاعه على علم العروض[4] .

ولقد كتب هذا الشاعر بوعي سياسي نادر، في وقت هيمنت فيه الثقافة الغربية التي كانت في كثير مما تنتجه مبشرة بما يقدمه الغرب الاستعماري من فتوح حضارية لكن الشاعر كان متفطنا

1– ضبطت أسماء الشعراء وتواريخ المولد والممات بالرجوع إلى معجم البابطين على النات.

2– عبد القادر عليمي، المنجز الشعري التونسي في الثلث الأول من القرن العشرين، بين إملاءات النقد وشواهد العصرية، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية عدد 2، سنة 2014، ص ص 90–116

3– محمد الصالح بن عمر، الشعر التونسي في قرن ونصف، 1861–2011

4 .سعيد أبو بكر (1317 – 1367 هـ) أديب وشاعر تونسي ولد في مكنين بالساحل التونسي، وتوفي بالعاصمة تونس. أصدر مجلة "تونس المصورة" وله ديوان "السعيديات" وهو مطبوع، وله مؤلفات أخرى. ينظر: موسوعة ، الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسن،(المولود بتونس سنة 1293 هـ والمتوفى بالقاهرة سنة 1377 هـ) ،ج7، دار النوادر، دمشق، 2010، ص48

لتلك الشعارات الإنسانية الفارغة التي تفضحها سلوكاتهم العدوانية الهمجية المبيدة للشعوب والحضارات، فقال في نص بعنوان الرفق بالحيوان وفي جو من السخرية والتحسّر:

جمعية الرفق بالسنور والديك ماذا عَن الرِفق بالإنسان يُهليك [1]

يُرضيك عينهما والأمن فوقهما مرحى فَهَل عيشه في الضنك يرضيك

يلقى ابن اوى لديك المشفقين فَهَل يلقى ابن آدم حظا في مَساعيك ...[2]

ومجموعة شعرية أخرى من المقطوعات القصيرة بعنوان الزهرات وهي أشبه بومضة هذا العصر، وقد أشاد الشيخ راجح إبراهيم بأهمية إنجاز سعيد بوبكر في الجانب الأسلوبي وكان ذلك الإنجاز استمرارا لدعوة الشعر العصري التي جاءت قبله. [3]

ومن شعراء تونس في العصر الحديث كذلك جلال الدين النقاش (1910- 1989) والشاذلي عطاء الله (1899-1991) ومحمد العربي الكبادي (1880 - 1961) ومصطفى المؤدب (1912-1996) ومحمد فائز القيرواني (1902-1953) والصادق مازيغ (1906-1990).[4]

ولقد ازدهر في الفترة نفسها الشعر الوجداني الذي اتجه كثير منه نحو الغناء، وهذا يبرز دور النشاط الإذاعي في مساعدة النص الشعري على الانتشار، ومن أهم شعرائه الذين اهتموا بالكتابة له أو بتحول قصائدهم إليه محمود بورقيبة (1901 - 1956) ومحمد العريبي (1915 - 1946) وعبد الرزاق كرباكة (1901 - 1945) ومصطفى خريّف (1910 - 1967) ومحمد العربي الكبّادي (1880-1961) [5]، ومحمد المرزوقي (1916 - 1981) وأحمد خير الدين (1905 - 1967).

---

[1]- وردت في عدة مراجع يهليك وقد يكون المعنى يهلكك أو وقع خطأ مطبعي فوردت بدى عن (يلهيك)

[2]- ينظر على النات: جمعية الرفق بالسنور والديك، اطلع عليه بتاريخ 20 ماي 2020

[3] - سوف عبيد، حركات الشعر الجديد بتونس، 2008 المدونة

[4]- تم تحديد سنتي الميلاد والوفاة من معجم البابطين في الصفحة الخاصة بكل شاعر.

[5]- ألف محمد أنور بوسنينة" محمد العيد الكبادي: أضواء على حياته وتراثه"، وذكر سنتي الولادة والوفاة، وفصّل في مراحل حياته (وزارة الثقافة والمحافظة على التراث) والشاعر أندلسي الأصول لم يكن يعرف من الآداب الأجنبية إلا ما قرأه مترجما، كما أشار إلى دوره في الصحافة المكتوبة والإذاعة. وينظر: عثمان الكعاك شيخ الأدباء كأنك تراه، الفكر عدد خاص محمد العربي الكبادي السنة 6 عدد 1، 1961، ص ص 21-28.

وبعيدا عن هذا التوجه فقد عرف الطاهر الحداد (1899 – 1935) باتجاهه الإصلاحي الذي أمضى أكثر نصوصه باسم مستعار هو "ضمير"، لما كان يعانيه بسبب أفكاره الجديدة التي دفعت المتحجرين إلى اتهامه بالكفر، خاصة في ما تعلق بما ورد في كتابه الرائد(امرأتنا في الشريعة والمجتمع) عام 1930 [1]." ومن شعره قوله:

إذا ما أردنا أن ننال الرغائبا فليس لنا غير العلوم مطالبا

لها بدد الغرب الضلال وجيشه وقاد بها نحو الحياة النجائبا

بها ذلل الغرب السماء لعزمه وعمر أرجاء البحار مراكبا

مراكب تجري كالمدائن أبحرت حوت من نتاج العالمين غرائبا

وغاص بها في الأرض يطال سرها وشاد بها ملكا يشق السحائبا [2]

ففي هذا الصوت الإصلاحي العام صوت إصلاحي فني كذلك يعود بالنص الشعري إلى لغته الصافية وصوره الواضحة ومنبعه اللغوي التراثي، كما أن الذات الشاعرة تشارك التجربة الفكرية وتعايشها من خلال الصوت الفردي المنسجم مع صوت الأمة.

---

[1] – الطاهر بن علي بن بلقاسم بن فرحات الحداد الفطناسي الحامّي. هو من المساهمين في تأسيس الحزب الحرّ الدستوري التونسي عام 1920، متأثرا في ذلك بعبد العزيز الثعالبي الذي سجنه الاستعمار الفرنسي، والحداد أول نشط في الحركة النقابية التونسية 1924، اشتهر بكتابه «امرأتنا في الشريعة والمجتمع» وأثار جدالا فكريا، وكان يوقع بعض قصائده باسم مستعار «ضمير.«نال وسام الاستحقاق الثقافي في تونس عام 1995. التزم في شعره بالقضية الوطنية وكان يهتم بالفكرة ولا يهتم بتجديد نصه فنيا وفقا لما كانت تنادي به النزعة التجديدية. ينظر على النات: معجم البابطين، اطلع عليه يوم 12 نوفمبر 2020

[2]– الطاهر الحداد، الأعمال الكاملة، م3، ط1، الدار العربية للكتاب تونس، 1999، ص339

2- الشعر التونسي بين سنتي 1934 و 1958:

يمكن القول إنّ هذه الفترة تميزت بالاتجاه إلى الشعر الرومانسي الذي كان لوفاة الشابي دور بارز في الاهتمام به قولا وصياغة مائزة، خاصة مع ظهور الحركة الشعرية المناضلة التي احتضنتها مجلة "المباحث" في أربعينيات القرن العشرين وقادها "الصادق مازيغ" [1] ومن شعره قوله:

حلمُ النقاوَةِ والجمال تألقا في زُرقة الأجواء يَبْهرُ مُشرقا
وجلالُه الوضّاء يسطعُ هادئاً ويفيضُ بالأنوار سيلاً مُغدقا
ملَكٌ من الأضواء يمرح رافلاً في موكبٍ عمَّ البلاد وأطبقا
يهفو على الكون الحبيب مغازلاً ويضمُّ أرجاء الوجود تعشُّقا
واليَمُّ أدكنُ في مهابة قُدْسه يبدو لعينك ساجيًا متدفِّقا
متدانياً متباعدًا متجلِّيًا متواريًا متعسِّفاً مترفِّقا
يمحو أضاليلَ الحياة رُواؤُهُ ويُحيل رجسَ الإثم طهرًا مُؤْنِقا
وتعانق الأشواقُ صفْوَ عبابه طيرًا جنحنَ إلى المناهل خُفَّقا

وبعد مجموعة الصور الطبيعية الرومانسية ينتقل إلى مجموعة من الصور المتعلقة بالذات الشاعرة فيقول مناديا إياها ومناجيا ذاته، متسائلا عن أوان نهاية الأحزان:

كم ذا تقيم على الوفاء مُصافيًا؟ يا طيفُ؟ أتلفكَ البِعاد وأرهقا
صدَّتكَ عن رحْب الفضاء شقاوةٌ وفُطمتَ عن نورٍ حسوتَ محلِّقا
حَتّامَ ترسف هائماً تبغي الشَّذى وتظلُّ تكلف بالعبير مُرَوَّقا؟
فمتى يُقِرُّ جواك ناجعُ مَرْهَمٍ، وتعلُّ من حوض السلوّ معتَّقا؟
شاقتكَ أصداءُ الوجود سواجعاً مُتهامساتٍ بالنّشيد منسَّقا
تترى على مرّ العصور لوامعًا فيحاءَ كالمسك الذكيِّ مُفتَّقا

---

[1]- (1906-1990) هو الصادق بن البشير بن العربي مازيغ، تعلم في الصادقية، وبعد البكالوريا تعلم بالمراسلة بجامعة الجزائر ونال شهادتها عام 1932 ، ثم درّس اللغة والترجمة في ثانويان كل من تونس وصفاقس وسوسة، وخبيرا مدققا في دار النشر التونسية وعضوا بالهيئة العلمية لبيت الحكمة من أعماله ديوانه ضياء.
ينظر: البابطيين. تصفح يوم 10 سبتمبر.

لحنًا يفور به العُباب ترنُّمًا ويثور من صدر الزّمان تسلُّقا

ويفيض حلمًا زاخرًا متألقًا ويموت صمتًا خاشعاً مترقرقا[1]

وكل هذا يبرز مدى عمق تأثير الحركة الرومانسية التي قادها مجموعة من الشعراء شعرا ونقدا أبرزهم الشابي.

3- حركة تجديدية جادة:

كانت تجربة أبي القاسم الشابي (1909 – 1934) أهم محطة في مسيرة الشعر التونسي طيلة هذه الفترة؛ ففي ما قدمه من شعر بين عامي 1926 و 1934، غير كثيرا من ملامح الشعر التونسي الذي تجاوز صداه تونس والبلاد المغاربية ليصل إلى المشرق لما تميز به من تفرد وأصالة وإبداعية، ويمكن القول بكل ثقة علمية إن بيته:

إذا الشعب يوما أراد الحياة فلا بد أن يستجيب القدر [2]

ملحمة شعرية إنسانية ثورية بلغت العالمية بيسر، بعد أن انطلقت من ذاته المعذبة التي أسرها الداء ومن ذاته الثانية تونس التي أسرها الاستعمار.

والملاحظ أن الشابي قد أدرك منذ أعماله الأولى أن موسيقى الشعر القديم يمكن أن تصبح لعبا كما يقول بعض الغربيين الحداثيين، وهذا ما نلاحظه مثلا في قوله:

قف قليلا أيها الساري القمر

واصطبر

يا سميري في أويقات الكدر

والضجر

واسقني من جدول النور البديع

قدحا

علني أفهم هينـــوم[1] **الربيع**

---

[1]– ينظر على النات: معجم البابطين. الصادق مازيغ https://www.almoajam.org/lists/inner/1147 تصفح يوم 10 سبتمبر 2021

[2] – أبو القاسم الشابي، أغاني الحياة، الدار التونسية للنشر، 1970، ص

إن صحا[2]

فهو يحافظ على القافية والروي ويلتزم بكل شروط الشطرين الوزنية، لكنه يتلاعب بالإيقاع ويمارس حرية التشكيل الموسيقي باستحداث ما يشبه لزوم لما لا يلزم في ما تعلق بعروض نصه ويضيف قافية داخلية في كل بيتين. وقد يكون ذلك ضربا من الانتماء الموسيقي الموشحي الأندلسي العتيق، وشكلا من أشكال الانتماء المغاربي الفنيّ الخاص.

ومما يؤكد أنه ضرب من "اللعب" القصديّ الواعي هو أنه يكرر الطريقة نفسها في نص آخر بعنوان: في الظلام حيث يقول:

رفرفت في دجة الليل الحزين

زمرة الأحلام

فوق سرب من غمامان الشجون

ملؤها الآلام[3]

ويمكن عدّ هذا التصرف الفني بداية في هتك حجب التقديس التي كانت تنشر الرهبة في نفوس الشعراء فلم يكونوا يجرؤون على الاقتراب منه بأي اجتهاد إلا لماما، وقد كانت هذه الإنتاجية الشعرية الشابية نتيجة طبيعية لعوامل أربعة: اثنان خارجيان هما الحركية التي أحدثها إعلانه الهام في "الخيال الشعري عند العرب " سنة 1929، والثورة على الشعر القديم جملة وتفصيلا، وذيوع صيته مشرقيا، أما العنصران الثالث والرابع فداخليان وهما عمق تجربته لدقة ملكته وتبنيه لمفهوم جديد للشعر رغم محيطه الأقرب إلى التقليد والجمود داخل قالب القصيدة العربية القديمة [4].

---

[1]- الهينوم: الكلام غير المفهوم. ينظر لويس معلوف المنجد في اللغة، طبعة جديدة، ط19، المطبعة الكاثوليكية بيروت، ص882

[2]- أبو القاسم الشابي، أغاني الحياة، ص22

[3]- ديوان الشابي، ص 30

[4]- محمد الصالح بن عمر، الشعر التونسي في قرن ونصف، 1861-2011

وهذا ما يؤكد أن الشابي كان أثره بالغا ليس في إطار المذهب الرومانسي الذي انتظم شعره فحسب بل في عدة جوانب كان قد مس بها النص الشعري في عصره، ويمكننا ملاحظة هذا التأثير في هذا النص الذي كتبته الشاعرة زبيدة بشير [1]:

عيروني نكرات الجهل والحمق بحزني وشجوني

فاتروني لا أنا منكم ولا فيكم خليق بحنيني[2]

لي ديني غير أديان الورى في ثورتي أو في سكوني

دينكم حقد وبغض وأنا الإخلاص ديني[3]

فمن الملاحظ أن الشاعرة قد راعت في صوغ نصها جوانب إيقاعية معينة بحيث تكون التفعيلة الأولى ذات روي معين، ورغم كل ذلك فقد كان هذا المفهوم الجديد المتصل برؤية أبي القاسم الشابي محاطا بتراث تقليدي متحكم في الذائقة الشعرية من خلال أصوات شعرية كثيرة كان لها تأثير قوي في توجيه الشعر التونسي بزعامة كوكبة يمثلها الطاهر القصار(1899 – 1988) الذي نشط في العدالة والصحافة ودراسة الموسيقى الأندلسية، وكتب المقامة، وكان ينعت نفسه ببحتري العصر. وهو القائل: (الكامل):

حيِّ اليراعةَ وافتخرْ بِرجالها واذكُرْ مآثرها وحسْنَ خِصالها

واعجَبْ بها عودًا تبزُّ شباتُه حدَّ الأسنّةِ سودِها وطوالِها

سبحانك اللهمَّ أشرف مُقْسمٍ صرَّفتَ بالقلم الأمور لآلها

سطَرَتْ به اللوحَ العظيم ملائكٌ علمتْ من الأسما حقيقةَ حالها [4]

ومن مديحه للزيتونة والاعتراف بفضلها قوله(الطويل):

---

[1] – زبيدة بنت البشير بن محمد السوفي (1938–2011) من مدينة سوف بالجنوب الشرقي الجزائري، وأمها من الكاف التونسية. شاعرة عصامية علمها أبوها، ثم رعاها الشاعر مصطفى خريف. ينظر: سلوى العياشي، آلاء الخطاب الشعري فلق الشعر في تجربة الشاعرة زبيدة بشير، تصفح يوم 21 أكتوبر 2021

[2]– روي هذا البيت مضطربا عند كل من سلوى العياشي وفوزية بن حورية في الحوار المتمدن بتاريخ 15–11–2015 وتم التصفح يوم 21 أكتوبر 2021

[3]– سلوى العياشي، آلاء الخطاب الشعري فلق الشعر في تجربة الشاعرة زبيدة بشير.

[4] – ينظر معجم البابطين، الطاهر القصار، اطلع عليه يوم 10 جانفي 2020
https://www.almoajam.org/lists/inner/1166

كفى العلمَ أن أعيا اللّسانين حمدُهُ وناءَ بفرسان البلاغة حدُّهُ

وليست يدُ الإنسان مهما تطاولت ببالغةٍ من أمره ما تودُّه

فحظ الورى من صيِّب العلم قطرةٌ وسلواهمُ من طيفه اللدْنِ وعْده

يزيد جلالُ العلم ما ازدادَ منعةً ويحلو عذابُ النفس ما ازداد صدُّه

وكلُّ امرئٍ تصبو إلى العز نفسُه يهون لدى غول المعارج جهده

جرى قلمُ الرحمن بالعلم فاسْتقَى بمورده الأسماءَ آدمُ عبدُه

فشعَّتْ على الأكوان لألاءُ شمسه وطوّقَ لبّاتِ الخلائف عقْدُه

ومن شعره الإصلاحي الموجّه إلى الشباب قوله على بحر الخفيف مستحضرا سينية البحتري:

يا بنَ يومي إليك عن ذِكْر أمسٍ وانسَ ما كان بين عُرْبٍ وفُرْسِ

واطَّرِحْ لوعةَ التذكُّر فيما حاق بالصّيدِ من كُلَيبٍ وعبس

واتركِ الماضيَ السحيقَ ولا تَحْـفَلْ بما ضمَّ من نعيمٍ وبؤس

وتحوَّلْ عن الرسوم ولا تَنْـدبْ على هـيكلٍ غدا طيَّ رمس

وابْنِ من قوة العزيمة مُلكاً شامخَ الصَّـرْح ناطحاً كلَّ شمس

وتلقَّفْ لواءَ عزٍّ تهاوى إذ رماه القضا بثاقب نَحْس

إذ دهى ما دهى فحلت عُرى القَوْمِ، ونال الغرورُ من كلِّ نفس

فأصاب العِدا من القوم مَرْمَى فإذا همْ بمأتمٍ غِبَّ عُرْس

وإذا صفحةُ الفراتين شَوْها ءُ وخُلْـدُ الرشيد أنقاضُ جِبْس

وإذا شُمَّخُ القباب من الزَّهْـراء، صرعى كأنْ أُصيبت بِمَسِّ

أصبحتْ بعد عزَّة الملك رسْماً وذَوَى من رياضها كلُّ غرس

وخَلَتْ ساحةُ المكانس منَ آرامِـــها الغُرِّ بين حُوٍّ ولُعْس

واختفى صوتُ سامر القوم واختلّـلَتْ خطى الشعر وانقضى كلُّ حِس

وبدا ناصرُ الجزيرة والثَّغْـــرِ مَهيضاً بدون دِرعٍ وتُرْس

بعد ما دَوَّخَ العدا ورماهم بليـــــوثٍ شُزْرِ اللواحظ عُبْس

وتسامَى براية العلم حتى بهرتْ آيةُ الهدى كلَّ نفس[1]

ويمكن أن نلاحظ بأن النص الشعري التقليدي قد مال في مراحل من حياته إلى الإيقاع السريع الخفيف فكان ذلك تمهيدا لشعر التفعيلة؛ خاصة وأن شعر التفعيلة نفسه خاضع لعدد من القواعد العروضية الأساسية،[2] وهذا التمهيد يمكن ملاحظته في عدد من القصائد ولدى كثير من شعراء تونس ومنهم مصطفى عزوز (1921-2003) القائل:

أعند الناس ما عندك

وفي دنيا الرؤى وحدك

ففرعك نهر أحزاني

تجاوز مدة حدك

وبدر التم قد ألقى

خيوطا خاطبا ودك ... [3]

ثم نجد تجاورا في النص الواحد لما هو بالشطرين وما هو بالسطر، كما يبدو ذلك واضحا في قول الشاعر نفسه بقصيدة عنوانها العقاب:

هل أتاكم نبأ العاتي الذي ذكره لا تشتهي أن تسمعه

إنه الإنسان في هيأته وهو عزرائيل فيما يصنعه

فإذا أوقعت في قبضته فاستعذ بالله واقرأ الواقعة [4]

شبهوا وقفته في ساحة بعقاب حام حول المزرعة

نشر الرعب على أطيارها باحثا عن طائر كي يصرعه

كلما حط على مدرسة رِيع من فيها وقامت زوبعة[5]

---

[1]- المرجع السابق

[2]- للتوسع يرجع: عمارة بوجمعة، تحولات الإيقاع في الكتابة الشعرية الحديثة، مجلة تاريخ العلوم، مج3-عدد6- ص ص267-272

[3]- ينظر معجم البابطين تصفح يوم 20أكتوبر 2021

- كان بإمكان الشاعر التخلص من الكسر العروضي بصياغة بسيطة هي (فاستعذ بالله واتل الواقعه)

[5]- ريع ماض مبني للمجهول من الفعل راع بمعنى أخاف وهو فعل متعد

فقد كسر الشاعر في نصه عددا من الشروط التقليدية التي تحكم النص العمودي – نص الشطرين بعبارة أدق – ؛ منها تعدد القافية والروي وعدم الالتزام بألف التأسيس (الواقعة المزرعة) وعدم اجتناب الإقواء (أن تسمعَه – فيما يصنعُه).

ومن الشعراء التونسيين كذلك محمد عبد الرحمن زيد المعروف بمحمد زيد(1335-1421 هـ - 1916-2000)، ولد في الجم (بمحافظة المهدية) – وتوفي في صلامبو (بتونس العاصمة) بعد تعلمه في الكتاب والمدرسة العربية–الفرنسية انتقل إلى المعهد العلوي ثم جامع الزيتونة، ومعهدي العطارين والخلدونية في الوقت نفسه.وعمل بالتعليم في كل من الجريد – والسواسي – وطوزة – والزاوية وسوسة، ثم عمل في الإدارة، أما شعريا فقد شارك في العكاظيات التي كانت تقام للرئيس التونسي المرحوم الحبيب بورقيبة.

ولمحمد زيد قصائد في مجلة المباحث (التونسية) وفيها عناية بالتجديد وتقديم للذات في علاقتها بالكون والطبيعة على غرار ما نجده في أشعار أبي القاسم الشابي، كما طالت نصوصه وغلبت عليها روح الثورة والتمرّد على المظاهر السلبية، وتمثل قصيدته « وهذه صرخاتي » النموذج الكاشف لهذه الجوانب حيث تلتقي فيها خيوط الثورة الذاتية الكامنة في الأنا المصرح بها مع ذات الجماعة في لحن معبر عن صوت الجماعة حين تعلن تمردها على مظاهر الوهم والظلم. قصائده متوسطة الطول، تميل عبارته إلى التأنق ومحاولة تحديث معجم القصيدة وإن تخلله بعض الغريب أحيانا[1]، يقول الشاعر:

ويل عمري لقد تألمت يا قومي وهذي إليكم زفراتي

هي من روحي الموجع إشعاع بألحان شقوتي في الحياة

فاسمعوها فإنها ضجة الحوباء في مزهري إلى المهجات

واسمعوني فإن همي أن تصغوا لنشيدي وتفهموا نغماتي

أنا بالشعر ما أغني لروحي بل لأرواحكم صدى غنواتي [2]

---

[1]– معجم البابطين (محمد زيد) تصفح يوم 15 أكتوبر 2021

[2]– نفسه 99250169

وتمثل هذه الصياغة كلاسيكية جديدة تعنى بإشراق العبارة وجمال الصورة وقوة حضور الذات ووجدانها وربطها الحميم بالحياة والناس.

وبالرغم من غلبة السمة التقليدية الخالصة في الشعر التونسي خلال هذه المرحلة بتأثير من الحضور القوي لأعلام النص التقليدي الجديد من أمثال الطاهر القصار، والشاذلي عطاء الله وجلال الدين النقاش، والعربي الكبادي، والهادي المدني القُبّي الغرناطي (1903-1991) الذي وفق بين ما هو وجداني ذاتي تأملي وما هو إصلاحي وطني مدافع عن الحرية والثقافة والمرأة، وهو القائل:

إنما هذه الحياة خيال سوف يبدو حقيقة بعد حين

خلف هذا الوجود فيض قوي يبدو لفكر البحاثة المستبين

ليس يلفى شيء أحب إلى نفسي وأرجوه مثل فيض اليقين

أرسل الكون في فضاء اكتشاف السر والحق صولجان القرون

إن عيش الأقوام أصبح رهنا بجديد في علمهم والفنون [1]

ومحمد بوشربية (1903-1952) وأحمد المختار الوزير (1912-1983) - فإنّ ذلك لم يحل دون ظهور بوادر تشكل تيار تحديثي قاده شعراء شبان ممن نفخ فيهم الشابي من روحه التجديدية، فنشروا صائد ودواوين فنأوا تارة كليا وتارة أخرى جزئيا عن الخط التقليدي سواء في الأغراض أو في الأساليب طبقا لتصورات شتى كانت شديدة الصلة بالظروف التاريخية التي واكبوها.

ومن أبرز هؤلاء الشبان محمد العربي صُمادِح (1928-1998) في مجموعته أفق (1953) حيث حذا حذو الشابي في انتهاج سبيل رومنطيقية إيجابية حيوية واعية قائمة على توظيف عناصر الطبيعة في الإيحاء بالثورة والاحتفاء بمعاني القوة والإرادة والفعل، ويتجلى ذلك في موضوعاته وعناوين قصائده: البلبل والوردة، الخطى الحائرة، مع القمر، قبور تمشي، سحر وشعر والتفاتة، وأحلام يتيم، والأفق الساكن ... وما إليها من العناوين الدالة على مشاعر الرومنسيين وخيالاتهم.([2]) ورغم غلبة الإيقاع التقليدي إلا أن الديوان قد ضم بعض القصائد التفعيلية، مما يبرز

---

[1]- معجم البابطين، تصفح يوم 12أكتوبر 2021 .

[2]- محمد العربي صُمادِح، الأفق، الشركة التونسية لفنون الرسم، 1953 تونس .

تفتح الشاعر على التجارب الشعرية الجديدة في وقت مبكر، كما يبدو ذلك في قوله بقصيدة (الخطى الحائرة):

دنيا تدور أمامنا

وعوالم تطوي السنين

وضجيج أصداء مجنحة تحت السابلين

ما بالنا ؟

نبقى دواما هاهنا

ونخوض في بحر خضمٍّ من غباوة أمسنا

ها نحن نبحث عن طريق

والطريق أمامنا ... [1]

(التفاتة):

ألقت الشمس على الكون ضياء أرجواني

فاستحالت ذهبا أحمر هاتيك المباني

واستفاق العالم النشوان عن شتى الأغاني

وعلا الزهر ابتسام كابتسامات الغواني

فخطرت

مثلما تخطر في نفسي خيالات حسان

والتفتُّ

فبدا في وجهك الساحر عطف وحنان

ومضيت

مثلما تمضيَ مع النسمة أنفاس الزهور... [2]

---

[1]- المصدر السابق، ص14

[2]- المصدرالسابق، ص26

فقد أعاد الشاعر توزيع التفعيلات وفقا لدفقاته الشعورية التي تعمد إبرازها ولمعانيه التي كان يرمي إلى بثها في نصه.

ومصطفى الحبيب بحري (1932-1990) ابن جزيرة قرقنة الذي تجاور في قصيدته المطولة "ثورة العبيد" (1955) النفسان الوطني والواقعي الاشتراكي.[1] ومن شعره قصيدته "أوراس" حيث يقول:

ولدوا في فجر الحريةْ أبناء الثورة في الفجرِ

"أوراس" فحطم أغلالكْ وأعِدْ للمغرب أيامه

فالمشرق داعَبَ أحلامه والعالم حيّا أبطالكْ

وفي هذا القول إشارة واضحة إلى البعد المغاربي الذي تميزت به الثورة الجزائرية التي رسمت أهدافا ثورية نبيلة تريد من خلالها تخليص كل البلاد المغاربية:

أوراس وشيّد في الدهرِ للبعث بروجًا من نورِ

وابعث للكون لظى الثوره تجتث الغاصب من داري

أبناؤك جيش التحريرِ ثاروا في وجــه الفـــجّارِ

ثاروا كالنار مع الريـــح في وجه بناة الوحشيه

من أرضك أرض الحريه قرعوا الأجراس الثوريه

إنها إذن حرب ضد أعداء الإنسان والإنسانية. لذا فإن القضاء على الاستعمار الفرنسي هو قضاء على عدو من أعداء الإنسانية.

بعد ذلك يفصح الشاعر عن البعد الروحي الإسلامي الذي تميزت به الثورة الجزائرية فيقول:

أوراس يباركك اللهُ ويبارك مجـــدك أبناؤكْ

أبناء الأرض العربيه أوراس ويبني شهداؤك

لغدٍ أقواس الحريه إخواني، والـــدم، والنارُ

والعزم، وشعبي الجبارُ وحكاية جدي الموتورِ

---

[1]- درس في كل من بغداد والقاهرة، ثم درّس في التعليم الثانوي ثورة العبيد أوراس ثورة البركان، وألف الشابي النبي المجهول، ص ص228. ينظر: كامل سليمان الجبوري، معجم الأدباء من العصر الجاهلي إلى سنة 2006، ج6، دار الكتب العلمية بيروت.

بعثت أحلامي للنور وأعود فأذكـــر أيامي

وأنا في روض الأطفال أحيا في ظل الأحلامِ

قد كان يداعبني جدي ذو اللحية جدي الموتورِ[1]

ويقص عليّ من الثوره قصص الأبطال الأمجادِ

أعمامي الخمسة في الوادي كانوا يحيون على الحقد

ومضى أبناء الشيطان والثار لمجد الأجداد[2]

في الكيد وبث العدوان

وفي أغنية للجزائر يقول متبنيا النضال الجزائري روحا وعقيدة وإنسانا وانتماء كاملا؛ فهو يؤكد كل ذلك بكلمات قوية كلها صدق ومحبة: وانطلقنا ، شعبي ، نحن شعب، فجرنا مشرق... :

يا رفاق النضال قد أومض الفجْرُ وغنّى الحياة لحنَ البشائرْ

وانطلقْنا شرارةً من حياةٍ ولهـــــيبًا كما أردناه باهـــــر

والتقى ههنا الصباح ، وشعبي والبطولات ههنا في الجزائر

ومضى الموكب الجليل خُطاه تزرع الخلْد فاهتفي يا حناجر

صانعو الموت طغمةٌ تتحدّى بأســـها همّةُ الشّباب الثائر

وأزيز الرشّاش لا يُفزع الحرّ، وثـــوري يا حانقاتِ المناكر

نحن شعبٌ على الزّمان نصبْنا هرم المجد، مرشِدًا كلَّ حائر

فجرُنا مشرق السِّمات طليقٌ دافق النبع يصنع النور ساحر

وجبال النضال أنشودة الثوار تُبنى على ذراها المفـــــاخر

يا رفيقي – وقد تفجّر شعبي ثورةً حـــرّة بكفِّ المقـــادر

الجماهير إخوتي لم يعودوا يُهطعون الرؤوس إن صاح فاجر

عشقوا خفقة الحياة فباعوا خفقات لهم لتحيا الجزائر

أشعلوها شرارة من فداءٍ تتلظّى تلوك كلّ مكابر ... [1]

1- جاء في لسان العرب ص 4758 ، الموتور الذي قتل له قتيل فلم يدرك بدمه

2- ينظر على النات معجم البابطين

والملاحظ هو أن هذا النص يتناص مع نص سليمان العيسى الذي يقول فيه:

روعة الجرح فوق ما يحمل اللفظ ويقوى عليه إعصار

فوق شعري وفوق معجزة الألحان هذا الذي تخطّ الجزائر[2]

وهذا يعطينا صورة واضحة عن صدى الثورة في الأقلام الشعرية وفي الأصوات الفنية التونسية عموما، وهذا أمر طبيعي لأن الثورة الجزائرية انطلقت منذ صيغتها الحركية الأولى بأبعاد مغاربية.

ومن الشعراء التونسيين الذين ساهموا في تطوير الصوت الشعري التونسي "عمر السعيدي الغريبي"([3]) الذي أعلن أيضا في مجموعته قيود (1956) عن التزامه بقضايا الوطن وتجنده للدفاع عن البؤساء والضعفاء، غير أن الشعراء المؤثرين في المسار الشعري التونسي أكثر خلال النصف الثاني من القرن العشرين هم الثلاثي الرومنسي: الشابيّ والحليوي والبشروش ومنور صمادح.

1-3- تأثير الرباعي الشعري:

أ- دور الشابي:

لا يخفى ما قدمه صوت الشابي للشعر التونسي، خاصة وأنه كان متعدد الكتابات فقد عالج الشعر والنقد والقصة والمقالة والرسالة، وكانت إنجازاته أطول عمرا من عمره، وما يزال عدد من قصائده مرجعا جماليا لكل جيل. ويمكن تلخيص رؤية الشاعر في أبسط مبدإ واضح يعلن عنه:

لا أنظم الشعر أرجو به رضاء الأميرِ

بمدحة أو رثاء تهدى لربّ السريرِ

حسبي إذا قلت شعرا أن يرتضيه ضميري

---

[1]- ينظر معجم البابطين على النات.

[2]- ينظر: سليمان العيسى، المجموعة الكاملة دار الشورى بيروت، مج 1، ص 554.

[3]- عمر السعيدي لغريبي من مواليد الزويته بصحراء غريب بالفوار - ولاية قبلي - سنة 1936. درس على يد الشيخ حمد العذري القرآن والعربية والفقه ثم انتقل إلى جامع الزيتونة المعمور في بداية الخمسينات ولم يواصل به دراسته. عمل محررا بعدة صحف إلى أن تبناه محمد المرزوقي وأصدر له أول دواوينه الشعرية . عمل عمدة في بداية الستينات في حزوة وفي 1978 عين معتمدا لها . توفي رحمه الله سنة 2012 . من كتاباته: قيود: شعر / تونس : دار الكتب الشّرقيّة , 1956 غريب" و"الحظ الذي ابتسم" 2010. وله أيضا : مخطوط " مع الجياع ". موقع على النات للمندوبية الجهوية للثقافة بتوزر سنة 2011. اطلع عليه يوم 11 أوت 2021 -http://kuttabkebili.blogspot.com/2014/01/blog post_6732.html

لذلك كان الشعر هو سيّد المهمة الشعرية ممّا جعله يُعنى فيه بالصورة واللفظ السلس الأقرب إلى تجسيد الجانب النفسي والروحي المنطلق من إيمان عميق بالرسالة الإنسانية السامية التي يؤديها الشعر في عالم الجمال الإنساني الشامل، وكما نجد ذلك في قوله:

عذبة أنت كالطفولة كالأحلام كاللحن كالصباح الجديد

كالسماء الضحوك كالليلة القمراء كالورد كابتسام الوليد

يا لها من وداعة وجمال وشباب منعّم أملود [1]

وهذه الرؤية الفنية الإنسانية التأملية جعلت الشابي يقترب من حساسية بعض الشعر الأوروبيّ الذي نجده عند بودلير، ويتضح هذا الشبه في قول الشابي مخاطبا الألم، بعد أن قال ممهدا بعبارة موجزة:" ليس النحيب الذي يصدره القلب كالنحيب الذي تبدعه الشفاه، وليست الدمعة التي يرسلها الألم كالدمعة التي يسكبها الأمل" فقال بعد ذلك:

ما أروعك أيها الألم وما أعذبك أيتها المرارة التي ملأت أودية الحياة بصراخ الأسى

وأترعت كأس الدهور بغضات الدموع

أيتها الكف الهائلة التي حطمت على شفة القلب كأس الأمل

وأراقت بكهف الظلام خمر الحياة

أيها الهول الذي ترهبنا ملامحه وتخيفنا ذكراه

أية شفة ترنمت بأغاريد الحياة منذ البدء

ولم تغتسل بلهيب الحياة... [2]

إن هذه الهندسة الجديدة رؤية وتوزيعا خطيا وتحريرا للفظ والتصوير لمما يعطينا فكرة واضحة عن عمق الأثر الذي أمكن لنص الشابي أن يتركه في من جاء بعده من شعراء تونس ومن الشعراء العرب الذين قرؤوا له.

---

[1]- ينظر: سوف عبيد، حركات الشعر الجديد بتونس، موقع الشاعر، تصفح يوم 12 سبتمبر 2021

[2]- نفسه

ب- دور محمد الحليوي:

كان لمحمد الحليوي (1907-1978)[1] دور بارز في النهضة بالصوت الشعري التونسي الحديث، ولا يتهيب محمد الدريدي في وصفه برائد التجديد الأدبي في تونس مرة، وبرائد الاتجاه الرومانسي في تونس مرة أخرى، كما يراه توأما للشابي. ولا شكّ في أنّ الحليوي كان مصدرا للأدب الرومانسي بالنّسبة للشّابّي بل وبالنسبة لعصره في تونس، لذلك نجد الشّابّي يكتب إلى الحليوي قائلا: « أهنّئك على نجاحك في دراسة رومنتيكيّة الأدب الفرنساوي، أقول أهنّئك بالنّظر لما أثارت في نفسي من لذّة وإعجاب، ولما أدركت فيه من دقّة واستيعاب.» وعندما قرأ الشّابّي مقال الحليوي حول الشّاعر الفرنسي «لامارتين» كتب إليه: «لقد زادني إعجابا بمواهبك السّامية وحبّا لقلبك الحيّ ونفسك الحسّاسة الواعية."[2]

وهذا نص من نصوصه بعنوان "في الليل" تظهر فيه بوضوح الروح الرومانسية التي ساهمت في صياغة لغوية رقيقة تعنى بكثير من مشاعر النفس الشاعرة:

أيها الليل بعثت الذكريات في فؤادي وأهجت الحسرات

طلت يا ليلي وطالت لهجتي فحسبت النجم مغرى بالثبات([3])

ليل ها أنت الذي آويتني وحبيب الدهر في الدهر المؤات

أنسيت المقعد الحجري والغاب والدوحة حول الهضبات ...

---

[1]- ذكر في معجم البابطين أنه توفي عام 1973، غير أن جامع الكتب الإسلامية على النات يرى ذكر أن سنة وفاته هي 1978 وهذا هو التاريخ الذي اعتمده الباحث محمد الدريدي في مقال له في ليدرز العربية على النات بعنوان: محمد الحليوي: توأم الشابي ورائد التجديد الأدبي في تونس. كان الحليوي ذا ثقافتين عربية وفرنسية وهو مما فتح له آفاق الاستفادة من الأدب الفرنسي الرومنسي خاصة. ينظر: محمد الحليوي: توأم الشابي ورائد التجديد الأدبي في تونس. تصفح يوم 15 أكتوبر 2021

[2]- المرجع نفسه

[3]- يتناص البيت من حيث معناه مع قول امرئ القيس:

فيا لك من ليل كأن نجومه بكل مغار الفتل شدت بيذبل

كأن الثريا علقت في مصامها بأمراس كتان إلى صم جندل (ديوان امرئ القيس، دار المعارف، 1984، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، ص19

فمن الجلي تماما أنّ الحليوي قد تشربت روحه الشعرية روح الرومانسية وأثرت في أسلوبه وكلماته ومخياله فكان ذلك كله من العوامل التي مكنته من تقديم نموذج شعري جديد قريب الصلة بما كان يقدمه زملاه في الهم الرومانسي الشابي والبشروش.

ج- دور البشروش (1911-1944):

تميز البشروش بتعدد مواهبه وتنوع كتاباته التي مست الشعر والنثر والموسيقى والفن التشكيلي والصحافة والمقال وترجمة الأدب الغربي [1]

ولقد نال من محبة الدارسين واعترافهم بجميلة ما دفع كمال الرياحي إلى تلقيبه بمحطم الأصنام، ويقصد بذلك نجاح البشروش في تحرير الشعر التونسي من هيمنة بعض الأصوات الكلاسيكية التي لم تكن تؤمن بتطوير النص الشعري؛ فقد دعا عام 1930 إلى إقامة أدب تونسي قومي خالص[2].

د- دور صمادح:

يعد منوّر صمادح (1931-1998) [3] أهم صوت شعري بعد الشابي وزميليه محمد حليوي والبشروش؛ فقد كان غزير الإنتاج في خمسينيات القرن العشرين، كما كان له صوته الشعري الأصيل الذي اتضحت فيه سمة المرحلة الشعرية الجديدة.[4] ويمكن القول إنه الصوت الشعري الرابع من بين الأصوات التحديثية الجادة، التي تحققت في خمسينيات القرن العشرين بفضله.

ولقد استلهم صمادح روح الشابي الوطنية التي أفصحت عنها قصائد "إرادة الحياة" و"فلسفة الثعبان المقدس" و"النبي المجهول" وما إليها ليهتدي إلى ما سماه "الشعر الواقعي"، الذي تأثر بالمفاهيم الثورية والاشتراكية والنقابية في ظل نشاط الاتحاد العام التونسي للشغل، فكانت أشعار صمادح تجد لها صدى في التجمعات السياسية والنقابية وتتجه مباشرة نحو الجماهير مما جعلها

---

[1]- لطفي عبد الواحد، أعلام في الذاكرة محمد البشروش 1911-1944، أخبار اليوم المصرية، مكتب تونس 29 أغسطس 2017

[2]- ينظر كمال الرياحي، محمد البشروش محطم الأصنام، جمهورية.كوم، تصفح يوم 18 أكتوبر 2021

[3]- لم يتعلم إلا في الفترة الابتدائية، وتنقل بين عدة أعمال منها الصحافة والإذاعة، دواوينه هي الفردوس المغتصب، فجر الحياة، حرب على الجوع، الشهداء، صراع، مولد التحرير الملاك العائد، أدب وطرب، نسر ونصر، السلام على الجزائر.

[4]- ينظر: حمادي صمود، الشعر العربي المعاصر في تونس، معجم البابطين. تصفح يوم 21 أكتوبر 2021

تتخلص من التعقيدات القديمة، فكان ذلك من العوامل التي حررت الشعر وقربت الشعراء من تجربة قصيدة التفعيلة، خاصة بفضل شعراء شباب تأثروا بتكوّنهم في المشرق كما حدث ذلك مع مصطفى الحبيب بحري الذي ألهمته الثورة الجزائرية فكتب "ثورة العبيد" 1955م و"أوراس"1957م، و"أغنية للجزائر"في نوفمبر 1960م، و"غدا ملتقانا" في نوفمبر من عام 1961 . ومن شعره قوله:

هذه البهجة في كل الوجوه

هذه الفرحة في كل القلوب

هذه الأنوار في كل الدروب

والزغاريد التي تعلو إلى أعلى السماء

والأغاني والأناشيد العذاب

هي من انتصارك ...[1]

إنها الفرحة يا شعب فقد مات العذاب

غن يا شعب أغانيك العذاب

وأشدْ بالأبطال لا تنس الضحايا[2]

فقد التزم الشاعر في نصه تفعيلة واحدة هي تفعيلة الرمل "فاعلاتن" منوعا في عدد التفعيلات داخل كل سطر، لكنه في الوقت نفسه التزم أنواعا من الروي في مقاطع نصه(القلوب، الدروب، العذاب العِذاب"مستخدما أحيانا بعض الجوانب البديعية) وهو ممّا يدل على أن القصيدة لم تتحرر تحررا كبيرا من نص الشطرين التقليدي.

ويعرّج الشاعر على أوراس التي ذاع صيتها سياسيا وأدبيا في الخمسينيات وصارت رمزا من الرموز الثورية الشامخة، وأمام الحماس الثوري تتضمخ القصيدة بالشعار وتغطي على تجربة الوجدان والخيال:

أيها الأبطال يا أُسْد الأوراس الخالدة

يا بناة المجد بالدم والخطوب

---

[1]– قد تكون (هي في انتصارك) لأن هذا أسلم إيقاعيا.

[2] – أسماء بلالي، الثورة الجزائرية في الشعر التونسي من خلال مجلة الفكر التونسية، إشكالات، عدد 9، ماي 2016 – ينظر: مصطفى الحبيب بحري، موسوعة البابطين على النات، تصفح يوم 20أكتوبر 2021

سوف يبقى سعيكم أسطورة للعالمين

لا تضاهيها الأساطير القديمة

إنها روحنا فيها والوليمة

من لحوم الأبرياء

والشراب كلها تصرخ في وجه العدم

أننا ثبنا ولم نرض للذل بقاء [1]

وبذلك تكون تجربة مصطفى الحبيب بحري مساهمة هامة في الانتقال إلى قصيدة التفعيلية.

ومن الشعراء التونسيين المساهمين في تطور الصوت الشعري في العصر الحديث الشاذلي زوكار (1931-2008) ومحمد العروسي المطوي (1920-2006) وكذلك محسن بن حميدة الذي تأثر بالشعر الحر الفرنسي بحكم ثقافته المزدوج، فقد من أوائل العرب الذين ترجموا شعر "رامبو". [2]

4- من الاستقلال إلى أواخر الستينيات:

لقد اتسمت هذه الفترة بهيمنة الشعراء الكلاسيكيين -وكان أكثرهم من المخضرمين- على المنابر الأدبية في الدوريات ودور النشر والإذاعة. وإذا تأملنا دواوينهم - وقد صدر معظمها بعد الاستقلال - وجدنا قصائدهم الجديدة تدور حول ثلاثة محاور شبه قارة هي المديح السياسي واللون الديني والوجدانيات، فالغرض الأول هو تمجيد نضال الحزب الدستوري في عهد الاستعمار وامتداح قائده. وأبرز من كتب في هذا اللون أحمد اللغماني والهادي نعمان (1927-1993) والشاذلي عطاء الله والهادي المدني وأحمد المختار الوزير والطاهر القصار ومحمد الشعبوني (1928-1992) ومصطفي المؤدب وجلال الدين النقاش؛ محمد جلال الدين النقاش. ولد بتونس

---

[1] - المرجع نفسه

[2] - 1919- 2005 ولد بالمنستير، ودرس بالصادقية، وواصل تعليمه العالي بفرنسا، والجزائر واشتغل أستاذا آبمعهد آرنو وساهم في تحرير كثير من المجلات كالمباحث والندوة والفكر، وله مؤلفات شعرية وتراجم. توفي عام 2005 ينظر: سعيد جلاوي، الثورة الجزائرية من خلال مجلة "الفكر" التونسية 1955 / 1962، جامعة الجزائر قسم التاريخ، ص35

وبها توفي والده من علماء جامع الزيتونة، تعلم الشاعر في الكتاب ثم في جامع الزيتونة إلى أن نال التطويع (1932 . عمل موظفًا بجمعية الأوقاف (1934)، ثم في وزارتي التربية والعدل ثم اختير مستشارا في الدار العربية للكتاب.

الإنتاج الشعري:

نشر الشاعر كثيرا من قصائده في عدة مجلات كالثريا ومجلة الإذاعة والتلفزة، وله ديوان شعري واهتمام بكتابة الأغنية والموشح والرواية والمقالات التي تعالج القضايا الاجتماعية، كما اهتم بكتابة الأغاني العاطفية والوطنية، من شعره قوله:

على شاطئ البحر والجو صافٍ ومؤنستي قُرّة النظرِ

وهبّ النسيم علينا عليلاً ولذّت لنا نغمة الوترِ

وأفلاك تلك السّماء استدارت كفُلْكٍ على لجّة النَّهَر

وقد كمل البدر كالغادة الـ مُجلاّة في أنفس الدُّرر

وكفُّ الصَّبا رسمت في المياهِ بنور السّما أبدع الصور

وقد رقص الموج من طربٍ وفيه سرت فتنة البصر

بذا طربي وبقرب فتاتي تبادلني أعذبَ السّمر

وتزجي كؤوس اللمى والحميّا فأحتار أيّهما مُسكري

عجبت لقلبي من الثّغر يُروى ويُرمى من الخدّ بالشّرر

ومن هؤلاء الشعراء أيضا أحمد خير الدين، ومحمد مزهود (1928-2003)، أما الغرض الثاني فمتصل بالابتهالات، ومدائح الرسول (صلى الله عليه وسلم) وإحياء المناسبات الإسلامية. وأبرز شاعر في هذه الموضوعات هو الناصر الصدام (1919-1992) والهادي المدنيّ ومصطفي المؤدب وأحمد المختار الوزير، والحبيب المستاوي (1923-1975).

وأما الغرض الثالث فهو الموضوعات الوجدانية من حبّ وفراق وشكوى وحنين ووصف لجمال الطبيعة، وأسلوبه يعتمد التشبيهات والاستعارات والكنايات والمجازات التقليدية، ورغم الطابع التقليدي الذي ميز هذا التوجه الشعري إلا أنه رعى صحة اللغة العربية وثقافتها التقليدية.

ويمكن القول إن تحديث النص الشعري التونسي قد تحقق في عدة مراحل ومن خلال عدة اتجاهات أولها الشعر العصري الذي كان تجديدا داخل القديم التقليدي، وقد مكنت تلك الحركة من امتلاك الناصية اللغوية والفنية وفقا لأصولها التقليدية، والمرحلة الرومانسية التي جددت في الصورة والجانب الوجداني وقربت النص من روحانيته وتأملات الشعراء مع التمهيد لشعر جديد ثوري يتغنى بالثورة والثوار ويرسم غاية للشعر تصب في وصف الواقع الجديد فكانت قصيدة التفعيلة مجالا خصبا لاحتضان تلك التجارب التي تطورت إلى رفض للشكل المعروف في الشطرين والسطر، فجاء النص النثري متحررا منهما باحثا عن جماليات جديدة تنوعت وفقا لتجارب الشعراء وثقافاتهم.

يا ابن زيدون اعرني منك لحنا وهديلا

ولقد حاول جعفر الهذيلي ماجد المعروف بـ"جعفر ماجد" (1940-2009)[1] أن يزاوج بين أصالة التفعيلة وجديد الصورة واللغة، ليتحرر من التوجهين معا، مستلهما مولده القيروان مدينة مولده وتعلمه الأول، ومستفيدا من ثقافته الفرنسية التي استلهم منها عنصر التحديث، ومن شعره هذا مقطع من "الساحرة" التي غنتها الفنانة عُلية:

لأنك لم تعرف الحب قبلي

لأن السماء على كل لون وشكل

لأن البساتين لا تنبت الورد في كل فصل

وأن الطبيعة لا تمنح الخصب في كل حقل

لأني أحب بعنف

وأطلب في العنف مثلا بمثل

فإني سأقتلك اليوم حبا

---

[1]- يراه مؤرخ الأدب التونسي محمد صالح بن عمر أنه قطب من أقطاب الأدب التونسي، فرض نفسه قلما هامّا في مجلة الفكر وهو دون العشرين، وصار قبيل الثلاثين شاعرا معروفا خاصة من خلال ديوانه نجوم على الطريق(1968)، جمع فيه - بأسلوب انفرد به- بين نظام الشطرين والصورة الشعرية الجديدة، مستلهما الكلاسيكية الجديدة من التراث والتحديث من ثقافته الفرنسية. ينظر: محمد صالح بن عمر، الشاعر التونسي جعفر ماجد 1940-2009 أو المدرسة الماجدية: دراسة، مجلة مشارف الإلكترونية، 26 04 2017

وحبك يعني كذلك قتلي [1]

فقد حافظ الشاعر على تفعيلة الرمل من البداية حتى النهاية، لكنه استعمل في الوقت نفسه لغة جديدة خالية من كل غموض؛ فهي جميعاً مما يعرفه الناس ويتداولونه، كما أنّها هي وما تنسجه من صور ظلت في القصيدة كلها من ألفاظ الطبيعة والحياة.

ومن الاتجاه نفسه عبد العزيز [2] قاسم في مجموعته حصاد الشمس (1975)، وهو الشاعر الذي ذكره الباحث الشاعر نور الدين صمود حين سئل عن الثالوث الشعري التونسي فقال هم أربعة: جعفر ماجد وعبد العزيز قاسم وزبيدة بشير ونور الدين صمود، غير أن متأمل بعض شعره يجد فيه من التعبير المباشر والنظم الكثير، كما نجد ذلك في قوله:

ترفض الذل كل نفس أبية فهي في العز لا تهاب المنية

وقوى الظلم كل يوم نراها تتحدى أمجادنا العربية

ترهب القوياء في كل أرض بسلاح القبائل الهمجية

وتثير الأطمتع بالأصفر الرنان في الأنفس الضعاف الغوية

غير أن الأحرار أكبر من أن تشتريهم أوراقهم النقدية [3]

ونجد في هذا التيار ذاته الشاعر جمال الدين حمدي (1935 – 2000) صاحب "سواحل مهجورة" (1974) التي تكشف عن التزامين أحدهما بالقصيدة العمودية وثانيهما بالقضايا الوطنية والإنسانية معبرة عن رؤية تشاؤمية شاكية. [4]

---

[1]– ينظر حعفر الهذيلي ماجد/ معجم البابطين، تصفح يوم 30 أكتوبر 2021

[2]– هو من مواليد 1933 في بنان درس في الزيتونة وفي باريس وشغل عدة مناصب دبلوماسية وإعلامية، شاعر ومترجم وناقد باللغتين. من أعماله حصاد الشمس 1957، وترجمت له قصائد إلى كل من اليوغسلافية والبولونية... ينظر: كامل سلمان الجبوري، معجم الشعراء من العصر الجاهلي حتى سنة 2002 م ، ج3، دار الكتب العلمية بيروت، ص186

[3]– جماليات الحياة في النص الشعري التونسي، مجلة الأدب الإسلامي، عدد95، ينظر على النات حيث لم يذكر التاريخ. تصفح يوم 21 أكتوبر 2021

[4]– شاعر تونسي من قبلي جنوب تونس، بعد تعلمه عمل في الإذاعة واتصف شعره بهجومه العنيف ضد المرأة بسبب تجربة قاسية عاشها وتأثر بها تأثرا عميقا، له سواحل مهجورة، وعراجين فضية ينظر: كامل سلمان الجبوري، معجم الشعراء من العصر الجاهلي حتى سنة 2002 م،ج1، ص423

ويعد محيي الدين خريف(1932)[1] من أبرز شعراء التفعيلة في تاريخ الشعر التونسي الحديث فقد امتزج في شعره الطابع الرومانسي بكل من الصوفية والتأمل الفلسفي مع الاستعانة بالرموز التراثية.

يقول في إحدى قصائده:

أشعارنا سكب من الضوء

في جنح ليل طويل

تألق الفجر بأعقابه

ونبه العصفور صمت النخيل

حين زرعنا الأرض ألحانا

نسيجها الهم وليل الأرق

قصة بلوانا

قد كتبت أسطارها بالعرق

تنبئ عن أعيننا الساخرة

عن بسمة الإصرار بين الشفاه

عن قوة ثارت بأعماقنا

ولم تزل تدفع ركب الحياة

قائلة: إنا هنا صامدون[2]

أما الخط الثاني فقد اختار السير فيه خاصة الميداني بن صالح (1929-2006) وأحمد القديدي اقتفاء لآثار منور صمادح. فاعتنقا مفهوما للشعر مبسطا قوامه الوضوح لغاية الإبلاغ، فهجرا، طبقا لذلك، عمود الشعر وغريب اللفظ والمعقد من المجاز البعيد، مفضلين الشعر الحر باللفظ

---

[1]- هو محي الدين بن محمد الناصر خريف ولد بنفطة عام 1932 له" كلمات الغرباء "، 1970وحامل المصابيح، والسجن داخل الكلمات ومدن معبد والفصول والرباعيات والبدايات والنهايات وطلع النخيل وله كذلك إسهام في أدب الطفل. ينظر: كمال الكافي، التونسي خريّف الشعر طامة كبرى والشعراء ماتوا، مجلة إلكترونية المدينة، الأربعاء 06 04 2011 تصفح يوم 15 10 2021

[2]- كمال الكافي ، المرجع السابق.

الشائع والصور البسيطة القريبة وعالجا قضايا الكادحين ونقل همومهم وتطلعاتهم وتصوير نضالهم اليومي الوطني والتغني بالقيم الاشتراكية.

أما محمد الحبيب الزناد[1]، فقد أعلن صراحة اختلاف نصه عن نص الشطرين ونص التفعيلة وأكد أنه يكتب شيئا جديدا وثيق الصلة بالواقع، وهو بسبب ابتعاد نصه عن جماليات نص الشطرين أو التفعيلة راح يبحث عن جماليات جديدة منها ربط السطر بالكلمة المكررة والتناص مع التراث أحيانا من خلال عبارات مأثورة معروفة في الثقافة العربية العتيقة:

قصائدي

لا تحمل طعم قديم الشعر

وكثيرا ما تعبر عن شكل هذا العصر

عن مشاكل هذا العصر

فهي إذن قصائد شكلية

قصائد عصرية

هذا الافتتاح اشبه ببيان شعري؛ لما فيه من بيان لماهية شعر العصر القائم في الساس وفقا ما جاء في النص على الشكل، وبذلك فهو موقف واضح ضد التقريرية، وفي أقصى التشدد فالنص الشعري هنا لا رسالة له ولا قصد بل ولا صحة أيضا:

قصائدي لا قصد لها

فهي مقصودة لذاتها

وليست جنودا مجندة

ولا أعلاما مفردة

ولا نصوصا صحيحة معتمدة

ولا أعمالا باقية مخلدة

---

[1]- أصيل مدينة المنستير، هو ابن الشاعر عبد الله الزناد، وأستاذه الشاعر الكبير الميداني بن صالح صاحب "قرط أمي".عمل مدرسا في كل من تونس وليبيا، وهو شاعر معروف ضمن شعراء الطليعة، أصدر ديوانين الشيات الصغير 1970، وكيمياء الألوان 1989. ينظر على النات: حوار نزار بولحية مع الشاعر، القدس العربي، 17 يونيو 2017. تصفح يوم 2 نوفمبر 2021

ولا تقصدكم على خيول مجهدة

قصائدي تعيش يومها في يومها ليومها

قصائدي مجددة ...[1]

ومن الشعراء الذين شحنوا التفعيلة بكثير من الانسيابية والسرعة والتبليغ الغاضب الهادف الشاعر محمد الصغير أولاد أحمد(1955-2016)، [2] الذي كان للثورة عام 2011 أثر بليغ في مسيرته، وهو معروف بنصه "تحب البلاد" ذلك النص الذي هو نابع عن انفعال [3] خلافا لمنبع الشعر الذي هو انفلات من الانفعال، ذلك النص الذي تحول إلى نشيد لثورة الياسمين، ومن شعره قوله كذلك:

صدقتَ إلهي

إن الملوك – كما الرؤساء –

إذا دخلوا قرية أفسدوها

فخرّبْ قصور الملوك

ليَصلُح أمر القرى

ألم تعد الناس بالمغفرة ؟

إلهي !

أريد جرادا لكل الحقول

ومحو جميع النقاط

وقحطا لكل الفصول

وطيرا أبابيل للاحتياط.

يبيعون خمرا رديئا

---

[1]– حمادي صمود، الشعر العربي المعاصر في تونس، معجم البابطين على النات تصفح يوم 15 أكتوبر 2021

[2]– خاض الشاعر تجربة فريدة بإلقاء قصائده في المقاهي والشوارع دون خوف من الأمن لأن قصائده كانت ذات طبع سياسي معارض غاضب، وصورد ديوانه الأول نشيد الأيام الستة. ينظر:

[3] يقدم هذا التحفظ على شعر المرحلة محمد الغزي في مقاله: أولاد أحمد شاعر الالتزام ممزوجا بحقائق النفس ومأساة الوجود، ينظر الأربعاء 21 أفريل 2011 Independantعربية،

ويؤذون ليل السكارى البريء

إلهي !

لقد تم بيع التذاكر للآخرة

ولم أجد المال والوقت والعذر

كي أقتني تذكرة

فمزق تذاكرهم يا إلهي

ليسعد قلبي

إلهي أعني عليهم

لقد عقروا ناقتي ...[1]

وهو أسلوب فني جديد من الأساليب التي اتبعتها قصيدة التفعيلة، حيث لا يتهيب الشاعر لثقته في قوة أفكاره من عرضها عرضا شبه مباشر وبنبرة ثورية غاضبة تنصف المستضعفين ضد المستغلين.

ويقدم لنا الشاعر الناقد التونسي سامي المسلماني أربعة نماذج من قصيدة النثر مؤكدا أنها لأربعة شعراء هم ابرز من يمثل هذا الاتجاه الذي يواجه المتلقي بكثير من الغموض، مشيرا إلى أن على الناقد أن يتسلح بجدية كي يدخل علم قصيدة النثر، مؤكدا كذلك أن كثيرا من النصوص في هذا المجال تقوم بما يشبه الدعاية لها وهي تخاطب القارئ وتدعوه إلى تغيير ذائقته العتيقة.

والنثيرة في عرف بعض شعرائها في تونس هي قبل كل شيء علاقة بين ذات ونص تحتمي به روح شاعر كما يتبين ذلك من قول "وئام غداس" التي تبوح بهذه العلاقة الحميمة بينها وبين الشعر في نصها "الشعر" وكأني بها تقدم لقرائها شيئا أشبه ببيان شعري يحاول شرح ماهية الشعر كما هو في رؤية شعراء النثيرة:

أعيش بالشعر

أحتمي به

وأختبئ من اليأس

---

[1]- (النص مكتوب ومسموع) اطلع عليه بتاريخ 5 نوفمبر 2021 alqasidah.com/poem.ph ينظر ويسمع:

في المجاز [1]

تقول الشاعرة أيضا غير بعيد عن عالم الكتابة:

أكتب أشياء ولا أعرف بعد ذلك

كيف أصنع منها قاربا أو سريرا

لأبتعد أو أنام

أمرر أصابعي على الحروف

لأتأكد من متانة المعاني

أرأيت ؟

كل هذا الخشب في اللغة

والقشة المنقذة أنبل [2]

والشعراء الأربعة هم جميل عمامي وسامية ساسي ووئام غداس ومنصف الخلادي؛ ذلك أن أصحاب هذه النماذج يمكن أن يقدموا لنا مجموع خصائص قصيدة النثر التونسية.

يقول منصف الخلايدي ممارسا نوعا من الإشهار لقصيدة النثر في قصيدة بعنوان "حجج":

يا ملائكة السكسوفون

يا شقيقاتي

أحبكم لا بحجة أني أتعاطف مع تاريخ السود

بل بحجة أنني لا أضع الصابع في الأذنين

...

بحجة أننا شعراء لغة نطفئ شموعا شفاهية

وبحجة أننا لا نريد أن نقرأ نصا نثريا كهذا

ننام [3]

---

[1] – نفسه

[2] – ينظر: سامي المسلماني، المرجع السابق

[3] – سامي المسلماني، آفاق الشعرية في قصيدة النثر التونسية من خلال نماذج معاصرة، ينظر على النات xeber24.net تصفح يوم 30 أكتوبر 2021

فهو هنا يؤكد أنه لا يؤثر قصائد النثر عطفا عليها كما يعطف الناس على السود الذين شهدوا عصورا من الاستغلال والتحقير، بل لأن الساحة اليوم مليئة بالأصوات النثيرية ولا معنى لتجاهلها.

أما جميل عمامي فيقول في قصيدة ثلاثة شعراء في الليل":

الشاعر الثالث

كان يقضم الضوء بلا رأفة نكاية بالإيقاع

الخارجي

الشاعر الأول الشاعر الثاني

يخرجان من المشهد

الشاعر الثالث يدخل القصيدة [1]

وتقول سامية ساسي، في قصيدة بعنوان في الفقدِ لا وقتَ للشِّعر، طارقة موضوع المهمشين متعاطفة معهم تعاطفا إنسانيا جارفا:

ككلبةِ الميناء أخرجُ للبحث عن "عظمةٍ أخرى."

وليمةُ البحّارةِ الآن: أطرافُ غريقٍ واحدٍ لهذا اليوم.

كيفَ تضمّين بحرًا إلى صدركِ؟

(سألني صديقٌ يرى البحرَ في نومهِ)

أضمُّ إلى صدْري رأسَ البحّار الأبلهِ

قطّتهُ الجرْباء، صراصير تقفزُ من كأسهِ إلى ظهري

مخدّتهُ الإسفنج، قواريرَهُ، تشقُّقَ أظفارهِ

طاقمَ أسنانهِ، الدمَّل تحتَ إبطيْهِ،

مراكبَهُ، شباكَهُ، جُزرهُ، الرصاصة النائمةَ في فخْذه،

أخضرَهُ،

يابسَهُ،

والأسماكَ التي تحجّرت في حلقِهِ

---

[1]– المرجع نفسه

كلّما ضمّتهُ إلى صدرها امرأةٌ رطْبةٌ،

تبتسمُ للنّاجينَ،

ولا تنجو. [1]

وكثيرا ما تماست النثيرة التونسية مع الروح السردية الرمزية التي تتوغل في الأعماق الإنسانية، وهي كذلك تتناول المهمشين بروح مجروحة معايشة متقمصة لحالة المهمش التي تعرض تفاصيلة غير المعقولة أحيانا غير أن لامعقوليتها ذات دلالة فكرية كما نجد ذلك في قول الشاعر: "**وليمةُ البحّارةِ الآن: أطرافُ غريقٍ واحدٍ لهذا اليوم**"، **كما يترصد الشاعر الرؤى ويعطيها البعد المقصود: (سألني صديقٌ يرى البحرَ في نومهِ)** ليعرض بعد ذلك ضحايا البحر عرضا مخيفا، وعرضا آخر لإنسان يعيش الآخرين وينسى ذاته:

أضمُّ إلى صدْري رأسَ البحّار الأبلهِ

قطّتهُ الجرْباء، صراصير تقفزُ من كأسهِ إلى ظهري

مخدّتهُ الإسفنج، قواريرَهُ، تشقُّقَ أظفارهِ

طاقمَ أسنانهِ، الدمَّل تحتَ إبطيْهِ،

مراكبَهُ، شباكَهُ، جُزرهُ، الرصاصة النائمةَ في فخْذه،

أخضرَهُ،

يابسَهُ،

والأسماكَ التي تحجّرت في حلْقِهِ

كلّما ضمّتهُ إلى صدرها امرأةٌ رطْبةٌ،

تبتسمُ للنّاجينَ.

وبذلك يتضح أنّ مراحل مشهد الحياة الشعرية التونسية التي بدأت في الإحياء والنهوض قبيل نهاية القرن التاسع عشر ثم رفعت راية الشعر العصري في بدايات القرن العشرين لتتأكد تنظيريا

---

[1]– سامية ساسي: في الفقدِ لا وقتَ للشّعرِ. شعر، ينظر على النات: أنطولوجيا سامية ساسي، تصفح يوم 30 أكتوبر 2021

وعمليا على يد الثلاثي الرومانسي أبي القاسم الشابي والحليوي والبشروش، وتتقدم القصيدة التونسية أشواطا في التطور الفكري والفني على يد صمادح والقصيدة التفعيلية لتتجاور بعد ذلك مجموعة من الاتجاهات الفكرية المحافظة والإصلاحية والثورية، ولتتحاور في الوقت نفسه النصوص الكلاسيكية المتشبثة بالقديم والنصوص الكلاسيكية الجديدة ومعها النصوص الرومانسية وما بعدها لتتحقق بعد ذلك قفزة نوعية جديدة في النص الشعري الجديد متمثلا في قصيدة النثر.

2- الشعر المغربي الحديث

لم يعرف الشعر المغربي مفهوم الحداثة الفنية، بمعناها النسقي المتعارف عليه في المنهج النتيوي، وثمّة أربع مراحل بارزة، في تاريخ الشعر المغربي الحديث في المغرب، كان لمفهوم الشعر، وخصائصه الفنية أثر واضح في هذا التقسيم، والذي لا يعد دقيقا، بل هو اجتهاد لتمكين القارئ من تتبع بوصلة الحركة الشعرية في المغرب.

1 – مرحلة أواخر القرن التاسع عشر.

2 – مرحلة أوائل القرن العشرين.

3 – مرحلة الثلاثينيات وبداية النهضة الأدبية.

4 – مرحلة الأربعينيات التي امتد إشعاعها إلى بداية الستينيات.

ويمكن القول إنّ أحداثا كثيرة وهزات عنيفة ساهمت في بلورة مفهوم الشعر، في كل مرحلة من هذه المراحل، وكان للوعي الذي لحق الشخصية المغربية وانخراطها في التحوّلات الاجتماعية كل مرّة ، والظروف السياسية(فرض الحماية) أثر قوي في خطابات هذه المراحل.

2-1- – مرحلة أواخر القرن التاسع عشر.

عدّ الشعر في هذه المرحلة مرادفا لثقافة الفقية العلمية، ومكمّلا لما يقوم به الموظف والقاضي وإدارات الدولة قصد اتقان الحرْفة فلا بدّ من تعلّم العربية وعلومها ومنها الشعر (حفظا وقرضا)؛ لأنّ موضوعه ارتبط في نظرهم بموضوعات العلوم والمعارف الأخرى، فهو جزء لا يتجزأ من موضوعات هذه العلوم والمعارف " أما مكانة علم الأدب من العلوم, فحسبه أن الفقه أشرف العلوم وأولاها بالنقد في الفضل والشرف.. فمعظم علوم الأدب آلة للفقه ! " ، فالشعر مجرد أداة للعلوم الفقهية واللغوية، ووسيلة لحفظ الشواهد في معرض علم النحو والبلاغة، ورواية المثل السائر؛ بمعنى أن الشعر قد خرج فعلا عن نطاق الفن، وبعبارة أكثر وضوحاً: ليس القصد من الشعر هو الإبداع تعبيراً عن مشاعر النفس وأحلام الروح.

ينبئ هذا الشاهد الشعري عن رأي تقزيمي للشعر في تلك الفترة، ويفصح عن دونية المعرفة الأدبية من جهة, كما يفصح عن نظرة الاستخفاف والشك في هذه المعرفة من جهة أخرى, يقول أحد الشعراء:

وما الشعر إلا مثل ملح قليله صلاح وإن يكثر أثار الدواهيا

2-2- مرحلة أوائل القرن العشرين:

تميزت هذه المرحلة بسيطرة الحركة السلفية، حيث نشرت أفكارها الدعووية والإصلاحية عن طريق الشعر، خصوصا بعد فرض الحماية (1912) وظهر كثير من العلماء الذين تشبعوا بالأفكار الإصلاحية. وقد وصف أحد المؤرخين مصلحاً مغربياً كبيراً في هذا العصر، هو أبو شعيب الدكالي بأنه: (شيخ الإسلام وحافظ المغرب ومحدثه).

أقبل الشعراء على النظم في موضوعات متعلقة بالفكر الإصلاحي، ونشر المعارف والعلوم، وتحوّل مفهوم الشعر من مجرد ثقافة مكملة لشخصية العالم أو القاضي، بل أصبح ذا موضوع مستقل نسبياً، هو موضوع الفكر السلفي. لقد مسّ الشعر الموضوع، ولا يزال لم يصل إلى الفن بعد.

ويمكن التمثيل بنماذج تشير إلى ذلك، يقول عبدالله القباج، في بعض أبيات من قصيدة له:

ليس التّمدن ما يلهيك عن عمل يرقي البلاد ويعلي الفكر والنظرا

ليس التّمدن بالتزويق مسخرة إنّ التمدن ما أولاك مفتخـــرا

ويقول محمد الجزولي في ديوان: ذكريات من ربيع الحياة

وإنّ الدين عند الله قول وفعل لا كرقص الراقصينا

ولا نهش اللحوم ولا بشذح الرؤوس ولا بشرب الماسخينا

وأن الذكر ليس بقرع طبل ومزمار علا ذقنا لمينا

وإن من هذا براء وإن الله يخزي المدعينا

والملاحظ أن أغلب هذه الموضوعات المتناولة في هذه المرحلة ارتبطت ارتباطا عضويا بالفكر الإصلاحي، ورغم ألفاظها الجديدة، غير أنّ حرارة الصدق الفني، وعمق الرؤية الشعرية ظلت بعيدة عن قوام الشعر وروحه .

2-3-مرحلة الثلاثينيات وميلاد شعر النهضة :

ظهر في هذه المرحلة مجموعة من الشعراء أطلق عليه الشعراء الشباب، الذين كان لهم ارتباط مع الشعراء المشارقة في الجهة الأخرى، حيث تأثروا بتجارب البارودي وشوقي وحافظ، ولذلك بدأت الساحة تعرف نوعاً من الإنتاج، نحسّ معه أن شيئاً جديداً بدأ يولد لأول مرة.

ولقد ولد شعر النهضة، وهو نتاج يتقاطع مع الشعر الإحيائي، فهو شعر مؤسس على مواد القصيدة التقليدية وعناصرهاّ إذ كانت قراءة هؤلاء الشعراء طرية وغير مستوعبة، وبدا الشاعر المغربي مشدودا إلى فكرة التقليد، والإتباع. غير أنه يمكن استثناء ثلة من الشعراء الموهوبين ممن كانت لهم بصمتهم وتفردهم في القول الشعري نذكر منهم : محمد بن براهيم، علال الفاسي، محمد الحلوي، ومحمد بن إبراهيم الملقب بشاعر الحمراء بمعنى أننا إذا وجدنا شعراء واقعين في تقليد الإحيائيين في غير روح،" فإنّ هناك شعراء آخرين تميزوا بشخصيتهم الإبداعية، فلأول مرة يتحدث الناس عن عنصري : الشعور والخيال في الشعر، ولأول مرة يخوض النقاد المغاربة، في أحاديث عن عناصر عملية الإبداع الشعري في ضوء بعض النظريات الأدبية ".

وقد عرفت هذه الفترة صراعا حادا بين المجدّدين، والمحافظين، بين من يريدون تطوير الشعر والقفز به إلى عبر نهضته، وإحيائه، ومحافظين يريدون الإبقاء على تقاليد الشعر حفاظا على الأصالة العربية والإسلامية. حيث نشطت حركة نقدية تزعمها (ابن العباس القباج). وهكذا بدأ مفهوم الشعر يتغير، ويعبّر عن الذات، والجماعة في آن واحد، إذ "لا بدّ للشعر أن يكون صورة صادقة لخلجات النفس وصورة تعكس أحلام الناس، وهو حين يفعل، ينبغي أن يتوخى الصدق والصواب ويبتعد عن الكذب والزيف، وأن يستلهم موضوعاته من الكون والطبيعة". لقد كان لزاما أن ينخرط الشعر في رسالة الأدب والشعر، وذلك برفض التقاليد الشعرية البالية .

والملاحظ في هذا النطاق" أنّ الأسس التي قامت عليها هذه الحركة النقدية، أعطت نتائجها في فترة الثلاثينيات, وعملت على خلق تيار شعري وتيار نقدي في الفترات اللاحقة. وبالذات في سنوات الأربعين من هذا القرن, ويعتبر الباحثون المغاربة أن هذين التيارين: الشعري والنقدي من أهم منجزات مرحلة الثلاثينيات

2-4- مرحلة الأربعينيات والوعي الرومانسي:

من الشعراء هذه المرحلة نجد: عبد الكريم بن ثابت, ومصطفى المعداوي: وعبد السلام العلوي، وعبد المجيد بنجلون, وعلال بن الهاشمي الفيلالي, والبوعناني ومحمد السرغيني وقد ارتمى هؤلاء في أحضان أشعار الرومانسيين مثل الشابي وأحمد أبي شادي، وإيليا أبي ماضي وغيرهم.

لقد أصبح مفهوم الشعر لدى هؤلاء الشعراء يعني " روح الحياة وجوهرها، إنّه الفرصة المتلالئة في فضاءات الأمل والدمعة المرتعشة في جفون الألم, والنسمة المنعشة في طلعة الزهر. والوخز المؤلم في أبر الشوك، والألق في إشراقة الشمس وابتسامة القمر, والظلام والغضب في وجه العاصفة والطهر والبراءة في أغاني الطير والصفاء والنقاء في طلعة الفجر".

وهذه الآراء تؤكد أنّ الشعر بمفهومه الوطني الاجتماعي أصبح متجاوزاً، فالوسط الأدبي المغربي بدأ يعرف هذه الثروة الضخمة من الشعر الوجداني الذي يتفجر بمشاعر وإحساسات جديدة.

إنّ هؤلاء الشعراء الجدد ذاتيون، ينطلقون من كون الشعر تعبيراً عن الوجدان وأسرار الذات وهم في ذلك يلتقون مع أصحاب المدارس التجديدية في المشرق العربي، يلتقون معهم في التصورات والمفاهيم، كما في الممارسة الإبداعية.

إن الصراع الذي عرفته سنوات الأربعين بين الذاتي والواقعي في الأدب والشعر، يكشف عن وعي آخر، غير الوعي الذي شهدته فترة الثلاثينيات، إنه وعي مرتبط بالقضايا التي تهم قواعد الفن الأدبي والشعري، وتمس طبيعة ورسالة ووظيفة الأدب والشعر.

ويلخص (أحمد الطريسي أعراب) المفاهيم الأدبية السائدة في فترة الأربعينيات في العناصر الآتية:

- مفهوم الشعر الذي يضع نفسه في خدمة وجدان الإنسان الفرد - وقد سار هذا المفهوم في اتجاهين اثنين: أحدهما مرتبط بالإنسان المغربي في إطاره الضيق وبيئته المحصورة وثانيهما متعلق بالإنسان المطلق.

- مفهوم الشعر الذي يقف موقفاً مخالفاً، وينادي بالواقعية انطلاقاً من وجدان الجماعة،وقد طرح مجموعة من التصورات في موضوع الأدب وطبيعته ووظيفته ورسالته.

- مفهوم ثالث، وهو يحاول الجمع بين وجدان الفرد والجماعة.

2-5-نموذج التقليدية بين المحاكاة واللحظة التاريخية:

2-5-1- خصائص اللغة الشعرية في القصيدة التقليدية في المغرب:

- النبرة الخطابية والجهارة القوية:

يمكن إرجاع أسبابها إلى أنّ الشعراء الذين نظموا قصائدهم في هذه الفترة هم امتداد للمدرسة الشعرية التقليدية القديمة التي تتوسم الأسلوب القوي والألفاظ الجزلة المتينة، كما أنّ الشروط التاريخية التي عاشتها الأمة العربية فرضت اللجوء إلى مثل هذه الأساليب، والاتكاء على ماضي اللغة العربية من أصوات قوية انفجارية قادرة على إسماع صوت الشاعر، وإثارة الحماس لاستنهاض الأمم والشعوب، ومنه قول [محمد علي الهواري] في قصيدة "عائدون"

عادت الذكرى، وعادت صور المأساة سوداء أمامي

عادت الذكرى، فلا الأدمع تشفي علّة القلب المضام

لا، ولا الصبر يبيد الحزن أو يهدي شجوني وظلامي

عادت الذكرى، وها نحن نقول الشعر نزهو بالكلام

فالشعر الذي يحمل الدّور لمناهضة الفساد والاستغلال لابد أن لا يخضع للهمس والخفوت، ومغازلة المشاعر غب لطف ولين، إنّ الشعر الذي يركن للخنوع والاستسلام لهو نوع من الخيانة. وتبرز المهارة والنبرة الخطابية بروزًا قويا في المواقف الحماسية أو في الشعر الذي يتصدى للاستعمار الأجنبي، ويبكي الشهداء الذين سقطوا في ميدان الشرف والوطن.

يقول محمد الحلوي:

أطلق النار أو فسلّ الحساما هم أرادوا أن لا يقروا السلاما

وامتط الأدهم المطهر أو فاسـ ـر بليل وعانق الأكـــاما.

واملأ الغاب من زئيرك كالليـ ـث يهزّ الهضاب والآجاما

وخض الموت ثائرا عربيا ابن أسد عاشـــوا أباةً كراما [1]

يحتفي الشاعر بالمجاهد ويدعوه إلى الاستبسال وعدن الاستسلام، وأن يخوض الخطب ثائرا على المستعمر، وهذه الأبيات الشعرية كما نلاحظ تتميز بجزالة الألفاظ، وجهارة العبارة والخطابية القوية،

1

وجلية الإيقاع ، وكل هذه الصّفات احتضنتها ظروف المواجهة العنيفة والقاسية التي خاضها شعراء المغرب ضد الشر والعدوان، بالحرف والكلمة النارية المدوية.

الأسلوب التقريري: هذه الظاهرة تسيء إلى جماليات الشعر ورونقه وتزج به في النثرية المباشرة، والمتأمل للمتون الشعرية في هذه الفترة يلحظ أنّ نصوصًا قليلة استطاع أصحابها أن يرتفعوا بها إلى مستوى فني رفيع.

فالتقريرية هي نتيجة وقوع الشعراء تحت تأثير الثقافة التقليدية وسيادة التراث (عدم محاورته، واستحضاره لراهن اللحظة الشعرية، وتقديمه كما هو بطريقة اجترارية واستعراضية). إنّ الثقافة التقليدية معناها التركيز على تأريخ الأحداث بالوصف والشرح، وتصبح القصيدة حينها مجرد أخبار وأوصاف لقضايا وأحداث بعيدة عن ذواتهم.

إنّ مفهومهم للغة لا يعدو أن يكون وسيلة للتخاطب والتفاهم وأداة للتواصل، ونقل الأفكار والمشاعر نقلا مباشرًا في حين أنّ اللغة في وظيفتها الشعرية هي لغة كشف وإيحاء وخلق، وبسبب هذا الفهم الضيق للغة الشعر عند كثير من الشعراء المغاربة الحديثين فقد وقع أغلبهم تقريبا تحت تأثير هذه الثقافة التقليدية، لقصور رؤيتهم الشعرية للواقع والحياة.

لقد ظلت التجارب سطحية تتحدث عن الأشقاء والوقائع حديثا منفصلا عن ذواتهم ومعاناتهم، بلغة استوحوها من محفوظهم اللغوي.

يقول [محمد المهدي بن محمد الحجوي] يمدح تونس وأعلامها: شاعر مغربي

وما تونس إلاّ شقيقه المغرب * وما المجد إلاّ مجدنا ليس ذكر.**

ولكنّ ماضي المجد ليس بنافع * إذا لم يعضده من المجد محضر.**

وما الرجل المقدام إلاّ مجاهر * بقول له الأعمال جاءت تُبرز.**

إلى العلم إخواني إلى العلم سارعوا * ولا تهنأوا فالسّعي في العلم يشكر.**

الأبيات كما نلاحظ تطبعها سمة تقريرية جافة، فعباراتها أقرب إلى النثر المألوف لا يربطها بالشعر إلاّ الوزن والقافية معانيها باردة لا تثير فينا شيئًا، وكلماتها مصفوفة ومستوحاة من المخزون اللغوي للشاعر(لا شعر فيها ولا روح).

وهناك نماذج شعرية أخرى اتّسمت بهذه الخصيصة التقريرية، نجدها عند الشاعر علال بن الهاشمي الفيلالي، والشاعر محمد العلمي في قصيدة (ملك لا كالملوك)، والشاعر المدني الحمرواي في قصيدة "مشاهد ومواقف".

❖ **المباشرة والسطحية:**

المباشرة والسطحية خاصيتان تضران بالشعر، فالمعاني تطفو على السطح وتسلم نفسها للقارئ دون عناء، تنعدم فيها وسائل التخفي والمراوغة الفنية، فللشعر أسراره، وتمنعه الممتع فالقصيدة العظيمة كما يقول "أدونيس": « لا تكون حاضرة أمامك كالرغيف أو كأس الماء، وهي ليست شيئًا مسطحًا، تراه وتلمسه دفعة واحدة، إنّها عالم مفتوح، متداخل، كثيف وشفافية، عميق يتلألأ.

وللتدليل على بروز هذه الظاهرة في الشعر المغربي الحديث نسوق أمثلة على سبيل المثل لا الحصر.

يقول "محمد الوديع الآسفي" قصيدة [نداء الكرامة]:

صهيون بانت اللئام ترقي ** حربا يقود جنودها الشرفاء.

*

ولتعلمي أنّ المعارك خطة * محبوكة لا فرصة عمياء.

الفتح خطّت للخلاص طريقها ** إنّ الطريق لدى الثوار فداء.

*

فالشاعر في هذه البيات يسرد الأحداث بلغة لا يربطها بالشعر إلاّ الوزن، إنّها لغة مكشوفة الدلالة عارية من كل مواجهة وتغيير، وأشكال التخفي التي يمكن أن تدفع المتلقي إلى بذل جهد فكري واستخلاص النتائج. **يقول [محمد العلوي]:**

الله أكبر إنّ النصر يقترب *** وجيش صهيون مرة سيناء ينسحب.

قد زلزل البغي، وانهارت قواعده *** فالأرض من تحته أحشاؤها لهب.

يغلب على القصيدة الطابع الحماسي والرنين الموسيقي الخطابي، فهي تلقي في الذهن معنىً مجردًا من الظلال والإيحاءات، لأنّ الشاعر يسرد بطريقة مباشرة، والمتلقي يلتهم.

❖ **النفس التقليدي واستخدام غريب اللفظ:**

سعى بعض الشعراء المغربيين إلى استخدام غريب اللغة، وراحوا يقتنصون الألفاظ اقتناصًا، ويصطنعون الغريب منها، كما عملوا على محاكاة بعض النماذج الشعرية التقليدية (المقتدرة ؛ قديما ومشرقيا). وقد برزت أكثر عند عبد الله كنون ، محمد المختار السنوسي، علال الفاسي). وكان لهؤلاء الشعراء بعض الولع باصطناع الغريب وتكلّف التجريد، وتعمّد القوافي. **يقول [محمد المهدي العلوي]:**

يني الضاد لا شلّت يمين نضوتم بها العار، وانضمت عليها المعاصم.

بني الضاد تصديقا لوعد نبيكم دعوا النصل يشفي غيظه ويلاحم.

ولا تجزعوا غوثي الضبا عن ومدوا لها الأرسان تروى اللهاذم.

حياضها

فالقصيدة التي منها هذه الأبيات مكتظة بألفاظ عربية، وبعبارات تقليدية مثل (لا شلّت يمين، غوثي، اللهاذم) اقتنصها الشاعر اقتناصًا من المعاجم اللغوية، واستدعاها للذكرى ، تأثرًا بفحول الشعراء العربية كأبي الطيب المتنبي مثلا.

3- الشعر الحديث في ليبيا

عاشت ليبيا حالة من الاضطراب، واستمرت هذه المرحلة إلى غاية 1711م التي استقلت فيها ليبيا عن السلطة العثمانية، لكن الليبيين ثاروا ضدهم عام 1832 ثم تدخلت الدولة العثمانية عام 1835 ليعود البلد إلى السلطة المركزية العثمانية، ولفقد خضعت معظم الدول العربية لحكم العثمانيين، وانتهى في أغلب حالات الدول العربية باستيلاء الاستعمار الغربي عليها، لذلك فقد كانت نهايته في ليبيا ببدء الاستعمار الإيطالي عام 1911م. ولقد تأثرت ليبيا خلالها بسياسة التتريك التي فرضت حياة ثقافية متخلفة.

وهكذا فقد مر الأدب في العهد التركي بالمحنة نفسها التي تعرضت لها بقية البلدان العربية, فانزوى في الركود بعيدا عن جنوح الخيال وانطلاق الفكر فكانت الأغراض الشعرية محصورة في مدح الحاكم, أو مداعبات، أو وصف مبتذل، إلى غير ذلك... وكانت أساليبها ركاكة وإسفافا وتصنعا.

(ثم جاءت نهضة شعرية جديدة وافدة من الشرق، صوت التجديد من ناحية الموضوعات والمضامين. جاء أمثال البارودي، وصبري, وشوقي, وحافظ, والزهاوي, والرصافي، ...وتجلى تأثيرهم في مصطفى بن زكري وسليمان الباروني، وأحمد الزدام, والأزمرلي, وابن شتوان وأحمد الشارف، وأحمد قنابة وأحمد رفيق المهدوي, وأحمد الفقيه الحسن (الحفيد) رغم محافظتهم على شكل ومضمون الشعر العربي القديم في معظم أشعارهم.

وهناك حقيقة واضحة سجلها خليفة التليسي في مقدمته لديوان علي الرقيعي سنة 1957, (وهي أن الأدب الليبي كله, نثره وشعره, قصته ومقالته, دراسته وخاطرته, ما يزال في طور المحاولة, ومعنى ذلك أن الأدب الليبي لم تنضج له حتى الآن شخصية أصيلة واضحه, انه يحمل في أعطافه صراع البداية من أجل مستقبل أدبي مشرق يتحقق له معنى التعبير عن الشخصية الليبية داخل الإطار العام للقضية العربية).

لقد تأثر الشعر الليبي بالإطار التاريخي الذي وجد فيه شأن كل أدب في العالم, فانخدع ببعض الظواهر الزائلة تارة, وعبر عن مشاعر الشعب إزاء محتله ومغتصب أرضه وبلاده, وأشاد بالسنوسية طائفة من الشعراء أمثال (فالح الظاهري, وأحمد الطائفي, وعبد الرحمن الجغبوب وغيرهم) فجادت نصوصهم (المتبقية من شعرهم بالكثير مما ينفع المؤرخ لتلك الحقبة من التاريخ).

(ولم تكن المراحل التي مر بها الشعر الليبي لتهيئ ظروفاً مناسبة لنشاط هذا الفن أو بعث نهضة قوية خاصة به، ومع ذلك نستطيع القول بأن ذلك لم يُحل دون وجود هذا اللون من التعبير في سائر المراحل التي مرت بها الحياة الأدبية، فكان يطالعنا بين الفينة والفينة شعراء يتحسّسون طريقهم وسط المعوقات الكثيرة ليأخذوا دورهم في مجال النظم والقريض, بل كان منهم من امتلك ناصية الشعر فاستحق النظر واستوقف الدارسين)ن.

وقد وجد في العهد العثماني الثاني شعراء مجيدون من أمثال أحمد بن زكري، وعبدالله الباروني, وأحمد الفقيه حسن (الجد) وغيرهم ممن أتاحت لهم ظروف الطبع مع ظهور الصحافة، فرص نشر أشعارهم التي لم تكن متوفرة للأجيال التي سبقتهم, فحفظت بذلك أشعارهم في وسائل أصبحت في حكم المخطوطات.

وقد رأينا الشعراء الذين جاؤوا بعد هذه الفترة واستعرضنا أشكال ومضامين أشعارهم وذكرنا أهم ما شغل شاعرياتهم. وكان من الطبيعي أن تتميز تلك الحقبة الشعرية الخصبة (بظهور النزعة الوطنية, وقد تمثلت بشكل خاص في الإحساس بخطر الغزو الإيطالي والتنبيه إلى وجوب الاستعداد للدفاع عن البلاد, فقد كان واضحاً أن الحكومة الإيطالية تعمل جادة للتمهيد لهذا الاحتلال, وتهيئة الجو لحملتها العسكرية والتحرش بالدولة العثمانية, وضمان إطلاق يدها من قبل الدول الأخرى) كلما قال خليفة التليسين.

وهذا الإحساس بالخطر من قبل الشعراء جعلهم يقاومونه في شعرهم بكل ما أوتوا من قوة أدبية ملؤها الإيمان بالعربية لغة, والعروبة نسباً, والأرض العربية وطناً لكل الناطقين بالضاد والمؤمنين بلغة القرآن الكريم, والتاريخ الواحد موحّداً بين العواطف والمشاعر والأصول والفروع...

تأثرت ليبيا بالصراعات الإسلامية المسيحية التي كانت غايتها التحكم في المنافذ البحرية المتوسطية خلال القرن السادس عشر وكانت المرحلة العثمانية نتيجة من نتائج هذا التأثر، بعد أن استولى الإسبان عليها عام 1530، وكان من الطبيعي أن يطلب الليبيون باسم الأخوة الإسلامية مساعدة من القوة العثمانية التي كانت سيدة على البحر المتوسط، فما كان من "درغوت باشا" إلا أن يستجيب للواجب الإسلامي عام 1551م، فخلص طرابلس من هيمنة الإسبان وظلمهم، وتحولت الحياة الليبية شيئا فشيئا من الطابع العشائري إلى بداية مظهر الوحدة الوطنية الليبية.[1]

---

1 – ينظر: مؤسسة طرابلس الغد للدراسات (على النات)

ويرى بعض مؤرخي الأدب أن الأدب الليبي قد عاش بداياته الجديدة بين سنتي 1835 و1911 فقد صار فيها الأدب الليبي قادرا على مواكبة الحركة الأدبية العربية ونهضتها بفضل المجالس الأدبية وشتى النوادي الثقافية التي نشطت فيها كثير من الحوارات الفنية كما كان لظهور الصحافة والطباعة دور بارز في دفع الحركة الأدبية نحو النضج وكانت صحيفة الترقي على يد مؤسسها أحمد البوصيري أهم صحيفة في هذا المجال.

ومنذ مطلع القرن العشرين تناول الشعر الليبي قضايا الوطنية والقومية والموضوعات الاجتماعية، كما كانت الدعوة إلى الوحدة العربية وقوفا في وجه الاستعمار الغربي خاصة بعد تخلي العثمانيين عن دورهم في الحماية، ويعد هذا الشاعر امتدادا للتيار التقليدي أو الإحياء الذي سار فيه مفهوم وحدة العروبة والإسلام، ويبدو المفهوم القومي عند الشاعر واضحا في عدم حصر الكلام عن أي بلد، في خضم نشاط جمعوي كبير شهده مطلع القرن العشرين: جمعية حفظ حقوق الملة العربية، وجمعية الإخاء العربي، والجمعية القحطانية، والمنتدى العربي، والجمعية الإصلاحية ... تحت رعاية كوكبة من العقول الكبيرة: بطرس وسليم البستاني، الكواكبي أديب إسحاق ... ولم تكن هذه الجمعيات والنوادي تركز على الجوانب الأخوية العاطفية فحسب بل راحت تحث على مواجهة التحديات المشتركة للتغلب على خطر الاستعمار الغربي، وزادت حدة هذا التوجه مع ظهور بادرة وعد بلفور خاصة.[1] وهو ما يبرز طابع الالتزام في هذه الموجة الشعرية الليبية الأصيلة. ومن الشعراء الذين ساروا على هذا المنوال **سليمان الباروني** 1873-1940، **وأحمد رفيق المهدوي** 1897-1961، **وأحمد الفقيه حسن** 1873-1975، **وأحمد قنابة** 1889-1968 ...

ويذكر التاريخ الأدبي الليبي أن أول شاعر ليبي طبع شعره أواخر القرن التاسع عشر هو مصطفى بن زكري ابن طرابلس (1853-1917) أصدر أول عمل شعري له عام 1892 بالقاهرة، وعرف برقة غزله وجمال موشحاته، كان عارفا باللغتين التركية والفرنسية، نشر بعض أعماله في جريدة الترقي، وعمل مدرّسا وإداريا. [2] وهو ما يعطينا فكرة هامة عن طبيعة الشعر

---

[1]- ينظر: نجية مولود الكلامي، البعد القومي في شعر أحمد الشارف، مجلة كلية الآداب علمية محكمة، جامعة الزاوية، ليبيا، ج2يونيو 2016، دار رؤية، الزاوية.

[2]- عبد الحميد عبد الله الهرامة وعمار محمد حجيادر، الشعر الليبي في القرن العشرين: قصائد مختارة لمئة شاعر، دار الكتاب الجديد المتحدة، بنغازي، ط1، 2000، ص 11، وينظر: معجم عبد العزيز سعود البابطين على النات (مصطفى بن محمد بن إبراهيم بن زكري) اطلع عليه بتاريخ 12 12 2020

الليبي خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر، لكن هذا الديوان لا يعكس حقيقة القرائح الليبية الأصيلة التي كانت على صلة ثقافية بكل من مصر شرقا وتونس غربا، لما بين هذه البلدان الثلاث من صلات رحم ثقافية. ولنا أن نتصور شتى الأسباب العميقة التي حالت دون طبع الأعمال؛ فمنها ما هو تاريخي سياسي، ومنها ما له علاقة بالجانب المادي الخاص بصعوبة الطبع. يقول مصطفى بن زكري:

براني الضنى حتى خفِيت عن الورى وأمسيت في طي الوجود مقدرا

كأني ضمير يستحيل بروزه أقدر في الأوهام شيئا ولا أُرى

وقد كنت أشكو قلة النوم والضنى فمن لي بأن ألقى السقام وأسهرا[1]

ويقسم الشعر الليبي إلى ثلاث مدارس أدبية:

3-1-المدرسة التقليدية الأولى:

وهي اتجاه فني التزم بالشروط الفنية والفكرية التقليدية وأبرزها الوزن والقافية والقيم العربية الإسلامية، فكانت بذلك مزجا للروحين المحلية والعربية العتيقة التي نجدها في نفحات من الشعر العباسي، فضلا عما أخذه شعراء هذه الفئة من الروح الأندلسية وموشحها، لكن بدءا من الربع الثاني من القرن العشرين فقد ظهرت النزعة المحلية في معالجة القضايا وتقريب لغة الشعر من العصر، فكان ذلك توفيقا بين المحافظة والتجديد. يقول مصطفى بن زكري:

بين آس وأقاح وصبوح في صباح

عروّح الروح براح واغتنم صفو الزمان

خندريس من رحيق قرقفا تدعى بريق

في كؤوس من عقيق عصرت من أقحوان [2]

فمن الواضح أن الشاعر قد استحضر ثقافتين وضمهما إلى بعضهما وألف بينهما إحداهما الثقافة العباسية النواسية وذوقها والثانية الأندلسية وتوشيحها، فلا عجب بعد ذلك في معارضة موشح ابن سهل الشهيرة "جادك الغيث" بطريقة تغري بتفضيل الجديد على القديم والنسخة على الأصل كما في قوله وهو يستحضر جوا من أجواء اللهو الأندلسيّ:

---

[1]- معجم البابطين.

[2]- قصائد مختارة لمئة شاعر ، ص ص18- 19

بأبي من زارني ملتثما وجلا من رقباء الحرس

فهو كالبدر بدا مبتسما يتوارى تحت ذيل الغلس

جال ماء الحسن من وجنته بين آس وبهار وشقيق

وبدور التمّ من غرته تتجلى في صباح من بريق ...[1]

وهكذا يتبين أن هذه المدرسة تنهل من معين قديم بعيدا عن أصالة الشاعر وخطوطه الأسلوبية الخاصة المتميزة، فكانت بذلك مجرد صدى للقديم.

3-2- المدرسة التقليدية الثانية:

عرفت هذه المدرسة تطورا وحضورا فنيا فكريا للشعراء بعد أن تشبعوا بقدر مقبول من الثقافة والتعلم. وابرز من يمثلون هذه المرحلة الأحمدون: أحمد الشارف، وأحمد رفيق المهدوي، وأحمد الفقيه حسن، وأحمد قنابة، وهم مجموعة من الشعراء الذين أحسوا بوطأة الاستعمار وعبروا عن مآسي الشعب كما تغنوا بالقيم القومية. وهذا ما نجده كذلك عند محمد ميلاد مبارك خريج الأزهر عام 1943 القائل مهنئا الجامعة العربية:

العيد عيدك فاحفلي بالعيد والعرس عرسك فآصدحي وأعيدي

غني فقد طال البكاء ورددي ما شئت من نغم وترديد

يا أمة كتبت صحائف مجدها بدم الأشاوس والكماة الصيد[2]

ويقول أحمد رفيق المهدوي:

يا مصر هذا أوان الجد فاجتهدي وجاهدي في سبيل الحق واجتهدي

يا مصر ما ظهر الإسلام منتصرا إلا بما كان في بدر وفي أحد

الحق ينصره حث وتضحية لا خوف من قلة الأعداد والعدد

والله لو صدقت في الذود عزمتكم لما افتقرتم إلى عون ولا عدد

والشاعر الأول الذي تعود إليه دراسات التاريخ الأدبي الليبي هو مصطفى بن زكري وديوانه الذي عرف عام 1892 ثم ديوان الشاعر عبد الله الباروني ثم ابنه سليمان الباروني عام 1908 قبل أن تفاجأ ليبيا بالهجمة الاستعمارية الإيطالية عام 1911

---

[1]- السابق، ص19

[2]- نفسه، ص22

ولقد كانت موضوعات الشعراء بدءا من ثلاثينيات القرن هي دعم الحركة الوطنية ويعد القاضي الشاعر أحمد الشارف (1864-1959) [1] أبرز ممثل لهذه المرحلة ومن شعره:

رضينا بحتف النفوس رضينا ولم نرض أن يعرف الضيم فينا

ولم نرض بالعيش إلا عزيزا ولا نتقي الشر بل يتقينا

فما الحر الا الذي مات حرا ولم يرض بالعيش إلا أمينا

ولئن استمرت المحافظة على مضمون وشكل الشعر العربي في ليبيا،ن فإنه قد ظهرت إرهاصات وبوادر تبشر بانبعاث أنفس تواقة إلى التجديد من الشباب (ليس لهم زاد في هذه المعركة التي يخوضونها إلا عزيمتهم، وإلا مايتلقونه من تأثيرات وتوجيهات هامة تأتيهم على صفحات الكتب والمجلات الشرقية، إن بلادهم لم تزودهم بوراثة أدبية، فهم أشبه بالعصامي الذي يخوض وحده معركته من أجل مستقبله وذلك هو صنيع الأدباء في بلادنا)

ويرى التليسي أن الشعر الليبي, بداية من أواخر الخمسينات, أخذ ينفعل بالقضايا التي ينفعل بها الشرق... (ويتتلمذ لشيوخ الأدباء ويتتلمذ لشبابه بصفة خاصة... فشخصيتنا الأدبية لم تبلغ ما يُراد لها من الأصالة، فهي تعيش على الشخصية الأدبية في الشرق يظهر ذلك بشكل واضح في الحركة الشعرية التي تعم ليبيا هذه الأيام).

وقد أشار التليسي إلى أن الحركة الشعرية كانت قد تأثرت في الماضي بالحركات الشعرية في الشرق حيث تتلمذ ذلك الجيل على مدرسة شوقي وحافظ... وظلت الأجيال الشعرية تتتلمذ على الأجيال الشرقية المتعاقبة في كل الأقطار من الخليج إلى مصر... إلى حين ظهور علم تونسي نافس المشارقة في شاعريتهم وشهرتهم، وهو أبوالقاسم الشابي، إلى جانب من ذكرهم من المشرق الكبير أمثال عبد الوهاب البياتي، وبدر شاكر السياب، ونزار قباني، وصلاح عبد الصبور، ومحمد فوزي العنتيل، وفدوى طوقان، وإيليا أبي ماضي، ومحمد الفيتوري الذي تتنازعه السودان مولداً، ومصر نشأة، وليبيا أصلا وجنسية فيما بعد.

---

[1]- اشتغل قاضيا ومدرسا ورئيسا للمحكمة الشرعية العليا. يروى أنه مدح موسوليني بالحزم في قو له: صار موسوليني مالكا ثقة البلاد فأصبحت تهواه ...

3 – أما المرحلة الثالثة التي مرت بها ليبيا, فهي مرحلة الاستقلال تحت حكم الملك السنوسي الذي اختلف عن العهد التركي والإيطالي، واستمر فيه الشعر الذي عرف سابقاً بالأسلوب نفسه، لكن بمضامين فيها شيء من الأريحية والفرحة وحرية التعبير في شؤون كان يمنع الاستعمار الخوض فيها... وبدأت تظهر إلى جانب الأصوات القديمة أصوات شابة فيها كثير من التجديد في الشكل والمضمون.

وقد طُبعت فيها كثير من الدواوين الشعرية، والدراسات الجادة عن أولئك الشعراء الذين كان شعرهم (ممنوعاً من النشر).

نماذج للتطبيق من نصوص

لشعراء المغرب العربي الحديث

قال الشاعر التونسي محمود قبادو في قصيدة : إلهي ذنوبي:

إلهي ذُنوبي ما علمت وَإنّني

لأخشى وأرجو والرجاء أغلبُ

وَما كانَ ما قَد كان منّي تَجرّؤاً

ولكن غُروراً والبوارق خلّبُ

وَلَولا رجائي كدت أفنى مخافةً

وَلُطفك لولاهُ لما لاح مذهبُ

إليك زَماني أَشتكيه وأهله

فَلَم يبقَ لي منهم لغيرك مهربُ

وَإنّي بدار لا أذمّ كبارها

ولكن في الأطفال من لا يهذّبُ

أُشاهد منهم ما يشقّ مرائري

وأسمعه حتّى كأنّيَ مذنبُ

فواللّه لولا رَغبتي في أبيهمُ

لشرَّقتُ في أَرضِ البلاد وغَرّبوا

وَكلّ مقامٍ يورث الذلَّ إن يطُل

وَكلّ إرتِحالٍ في إقتنا العزّ طيّبُ

وأعذرهم جهدي وأرجو صَلاحَهم

وَما منهم إلّا لديّ مقرّبُ

أراهمُ إخواني لحقّ أبيهم

عليّ ولكن ليس فيهم تأدّبُ

سَمعتُ لعمري منهم كلّ فاحشٍ

وَأغضيت حتّى قوّلوا وتكذّبوا

إذا ما اِشتكوا منّي فإنّيَ عالمٌ

بأن الّذي يصغي إليهم مجرّبُ

وَأنّ الّذي أغرى الصغير وغرّه

أخوه فأضحى وهو يبكي وينحبُ

وعلّمه سبّي فقال وذا الّذي

لعمري منه لم أزل أتجنّبُ

فَمهلاً عبادَ اللّهِ إن كان منكم

رضى بالّذي قد كان فالأمر أعجبُ

إذا ما سَئِمتم أن أقيمَ فإنّني

أهشّ لعمري للرحيل وأطربُ

وَما رَغبة عنكم ولكن عن الأذى

وَفي الأرض أنّى سرت أهلٌ ومرحبُ

وَما بيَ عجزٌ عن بلوغ مآربي

ولكنّني عن موقف الذلّ أرغبُ

ستَسمع عنّي إن نأيتُ مآثراً

جميلُ الثنا عن فَضلها الآن يعربُ

وَكم قائلٍ إنّا عَهدناه صادقاً

وَآخر يغضي عن قذى ويكذّبُ

وَأحزَمهم من قال لم أبل أمره

على أنّ أمري ما بلوني معيّبُ

بصيرون لكن بِالتماسِ مَعائبي

وَإنّ اِلتماس العيب منه لأعيبُ

وَصعبٌ بقاءٌ وَاِصطبارٌ على الأذى

وَلكن خلاصي منه أَنكى وأصعبُ

وَأصعب ما لاقيت خطبٌ زواله

على أنّه سهل من الخطب أصعبُ

المطلوب:

- **استخرج الأبيات التي وردت فيها ملامح الإحيائية.**
- **هل ترى الشاعر مجددا. برر ذلك.**

قال الشاعر التونسي الشاذلي خزندار في قصيدة بالشاعرين نحيي ندوة الأدب

المجلس العلمي

بالشاعرين نحيي ندوة الأدب

ولنحيي بالشعر أسواقا إلى العرب

مالت لندوتنا الألباب قاطبة

ميل الكريم إلى الإنشاد والطرب

هب أن للغير ناد مثل ندوتنا

فان في الخمر معنى ليس في العنب

لم نرسل القول غلثا عن عواهنه

حتى تصاغ أوانية من الذهب

نحيل للنقد ما نبديه إذ عرفوا

بالنار ما البون بين العود والحطب

كم ذي قواف على العلات يرسلها

ويدعي الفخر كالطاووس بالذنب

ولو يرى ما رأى الطاووس صاح لها

إذ ليس من وتد فيها ولا سبب

ترى البحور إذا ما شقها امتزجت

أشطار منسرح فيها بمقتضب

وليس يدري مسماها وليس له

فيها ولوع ولكن حال منتسب

يلائم النسج معنى قولهم فترى

تلك الأناشيد أطمارا على الخشب

وكم بلينا بمن أودى تسيطرهم

بنا وقامت لهم دعوى بلا طلب

لم تقرض الشعر حتى تستحق به

حقا يخولها الإحكام واعجبي

ترى الجراءة تصويبا وتخطئة

منهم على الشعرا والشعر والخطب

لا رأي فيهم ولا قسطاس يضبطهم

ولا اعتماد على نص من الكتب

إن لم توافق معاني الشعر مشربهم

غضّوا العيون ولو أوتيت قول نبي

وزمرة دونهم بلها مكبّلة

فلا تميز بين الضرب والضرب

من هؤلاء وناهيكم بوطأتهم

تأجذجت في نهانا جذوة الكرب

وضاع منهم سدى لمثلنا نصب

في الشعر إنا على الحالين في نصب

لولا فريق قليل من معارفنا

يؤمنا لقضينا العمر في تعب

أو نظرة في طروس نستفيد بها

ضاءت من الجانب الشرقي كالشهب

من مثل شعر الرصافي والخطيب وحا

فظ وشوقي أولي الإتيان بالعجب

من عام أشرق بي في الشعر باعثه

ليوم شاعرنا ذا خير منتخب

لم ألق أهلا سواه فاستهل بنا

بدر القريض وحيعلنا على الأدب

فانضم في سلكنا من أسرة المرا

نبي شعر فأرخناه باللقب

واليوم نحفل بالخلصي وبالحسن

ابن خير شهر عزوناه لخير نبي

قوما نحييكما بالشعر انكما

حججتما البيت في ناديكما العربي

قوما نصافحكما بالقلب قبل يد

ولنرتبط أدبا يربو على النسب

قوما ندر لكما السحر الحلال ضحى

قوما نحلكما في اشرف الرتب

أهلا بنجمكما الزاهي بندوتنا

حلا على الرحب بل حلا على السحب

كنا نناجيكما بالشعر من بعد

فهاكما اليوم ذاك الشعر من كثب

لما التقينا وكان الحظ خادمنا

في ملتقانا بلغنا غاية الأرب

قل ذلك اليوم والتاريخ يشهد لي

يوم سعيد خلسناه من الحقب

كن في ابن شعبان تاريخ ظفرت

به عفوا مساء التقانا غير مرتقب

فياله من مساء والصواب معي

محيي لمنشدهم هذا جناه أبي

قدمت معذرتي في يومها لهما

عن التخلف حيث الخلف يقبح بي

بيتان قلتهما للعذر ضمنهما

تجري الرياح بما فاستحسنا أدبي

وقد عقدنا اتفاقا عن مقابلة

قد وفيا لي بها طبقا لمطلبي

لكن بي الله إلا أن يتممه

حظا وفيرا فحف الكاس بالحبب

إذ كان عفوا مجيء مصطفى فغدا

بيتي بطلعته يفتر عن شنب

وفتحت باقة الديوان وانتثرت

منها الزهور لغيث فيه منسكب

حييت بالشعر وفدي واحتفيت بهم

للشعر وهو لمثلي خير مكتسب

ودارت الكأس بالآداب واعترفوا

لي بالإمارة قل احبب بذا اللقب

وهذه راية قد سلمت ليدي

من صفوة الأدبا لم تشر بالنشب

وهكذا الفخر إن فاخترم افتخروا

بمثل هذا فليس الفخر بالحسب

قد قال ذاك الزكي لسنا وإن كرمت

أكرم بمثله فانظر نخوة العرب

ما عد كاملهم إلا بأربعة

منها القريض فلا تمجيد بالكذب

في المسجد المصطفى الميمون للشعرا

منصة أشعرتنا باعتلا الأدب

قد اشتغلت بنسج الشعر من صغري

حتى اكتهلت وما في غيره أربي

أصبوا لحسنه من عهد الصبا وقد اس

تولدت منه بنات الشعر وهو صبي

أقضي الليالي إدلاجا لأكشفه

بين الغياهب في جيش من الحجب

وكم قرعت له الظنبوب في غلس

غثر خطاه ولا أشكو من اللغب

وكم تجهمت فيه من معاكسة

كي يستفزوا نهاي فيه للغضب

لم يثن عزمي تنكيت الحواسد في

شيء تثبته لم يبل بالعطب

وما عليك إذا ما صح قولك إن

تعزى إليه افتراء وصمة الوصب

فليس ضائرك اللاحي على دخل

فذره يرزح من جراك في النصب

واقلب لأمثاله ظهر المجن فلا

يجدي النزاع عدى الإيقاع في الشغب

واربأ بنفسك عن رب الحماقة واس

تبدله بالكيس الأخلاق ذي الأدب

من مثل هذين من عجبت باسمهما

في ندوة الشعر ترحيبا لذا السبب

نعم ضربنا مساء موعدا لهما

وها نسلنا له من كل ما حدب

فلنعقد العهد فيه للإخا وأنا

قد جئت بالعهد مجذوبا لمنجذب

وما لدي سوى نظم عقدت به

ما جاش بالصدر والمنظوم أنسب بي

فإن هما سألاني أن أؤرخه

أجبت رمزا وما في الرمز من عجب

استخبرا الكلمة الأولى لرامزة

عنه وللشعر ميزان من الذهب

المطلوب:

- قسّم النص إلى وحدات، مستخرجا أهم الأفكار الواردة فيه.
- حلّل القصيدة مبرزا أهم خصائص التقليدية لدى الشاعر.

قال الشاعر التونسي محمد البشروش في قصيد: أين يومي للسرور

ذهب الأمس فواها نحن للقبر نسير

و الغد يدنو دنوا ما الذي فيه نصير

ما الذي خلفت الحجاب ما الذي خلف الستور

أمساء و ظلام أم صباح و بكور؟!

و تعالي نبصر الأمواج من فوق الصخور

و نبصر الكون بديعا فيه شهب و بدور

فيه شمس و ظلام فيه أسرار البحور

و تعالي نلتهي بأغان و زهور

ننعم النفس بغيد و بثغر ونحور

فادني مني و أترعي الكأس فيومي للسرور

المطلوب:

- **النزعة الرومانسية واضحة في هذا النص. وضّح ذلك؟**

قال الشاعر الليبي مصطفى بن زكري في قصيدة روح الروح

روح الروح واسقني بمدام

وأدر ذكر قصّة المستهام

كنت في فترة الخلق أرى الو

جد من المستحيل في الأوهام

وتماديت في ضلالي وقد جا

ء نذير الهوى بدين الغرام

وبدت للوجود من فلك الغر

ة شمس الضحى وبدر التمام

فدعتني إلى البراز جنوده

عودتني بالنصر بين الأنام

حسن صبري وملك نفسي ورشدي

وثبوت الأقدام في الإقدام

فنفرنا إلى اللقاء خفافاً

لنهين الهوى بعزم الكرام

وانتظرنا طلائع الحسن حتى

جاءنا ثغر فجرها بابتسام

وتراءت راياتها تتباهى

بجنود جاءت لنصر الغرام

وأثارت نقع الصبابة حتى

ضلت النفس في قتام الهيام

فالتقينا معاً وشمرت الحر

ب على ساقها لسقي الحمام

وتقدمت مسرعاً فكأن الخو

ف من خلفوالنجاة أمامي

ودعا صبري الجميل وقد كا

ن عبوساً فجاءه بابتسام

وتثنى فما ثنيت عنان النف

س حتى دانت لسمر القوام

سعدت بالوصال من قربه رو

حي فلم تشك فرقة الأجسام

لو ترى موقفي وقد زاغت الأبصا

ر ماب ين أسهم وحسام

وترى أنجم الضياء من سواد ال

حظ منقضة لرصد الأنام

لم تكذب في بعث وجدي بألحا

ظ اغن تحيي رميم الغرام

بعث الله فيه وجدي ولكن

بعد موت السلو من أوهامي

فكساني لما عريت من الصب

ر ولكن ثوب الأسا والسقام

وسقاني لما ظمئت من الشو

ق ولكن كأس الهوى والهيام

هذه قصّتي وهذا حديثي

في ابتداء الهوى وحسن الختام

المطلوب:

- **حلّل الصورة الشعرية في القصيدة.**

قال للشاعر الليبي سليمان الباروني في قصيدة طرب الهزار

طرب الهزار وعمت البشرى فما

هذا السرور أأقبل العام الجديد

أم عادة الأيام تبدي شهرة

في كل يوم قيل في اليوم عيد

لا لا وما كل الزمان بواحد

أحيى النفوس بعرفه يوم سعيد

يوم به الإسلام أضحى لا با

تاج الفخار ونال عزاً لا يبيد

يوم به ساد الهنا وازينت

بعقوده غرر الزمان وكل جيد

يوم به ابتهج الأنام وقلدت

فيه الخليقة أمرها عبد الحميد

في مثله برز الهدى متسنما

عرش الخلافة من سلالة بايزيد

يوم به نلت الوقوف بمنبر

لشبيبة العصر المنيرة كي أفيد

فأقول والأدباء تعلم أن لي

جملا أشير بها إلى معنى بعيد

عبد الحميد خليفة الإسلام كم

في الخافقين اليوم من حصن يميد

عبد الحميد لانت حقا ملجأ

للدين والدنيا على رغم البليد

عبد الحميد حميتنا بمهند

فغدا المجادل عن مرادك لا يحيد

عبد الحميد قلوبنا ملئت فقل

قوموا فقم والهنا عنا شهيد

عبد الحميد حييت دهراً قابضا

لزمام ملكك حائز العمر المديد

كم من منابر باسمك المحبوب قد

صدحت بهذا اليوم يا عبد الحميد

كم مظلم أضحى لعيدك نيراً

كم ضامت أمسى يرددنا النشيد

لامين لا وعظيم ملكك فالورى

من راح حبك ما بقيت لهم يزيد

شهد الكواكب في السما أو في الفضا

والأرض والثقلان ان اليوم عيد

فتجملت مصر بباهر حلة

وتلألأت أنوار حافات المشيد

كم من قصور شاهقات زانها

بالكهبراء شكل به الخضرا تميد

كم من عساكر والبنود تحفها

تصطف يخجل نظمها العقد الفريد

تدعو بنصرك والقلاع تجيبها

والأنس نام والمسرة في المزيد

كم من منابر بالمجامع شيدت

وترنم الخطباء فيها بالنشيد

فاقبل تهاني المخلصين خطيبهم

في مصرهم يشدو على رغم العنيد

أعلامك الحمراء تخفق فوقهم

عباسهم بالبشر يبسم عن نضيد

ولسان حال الكل يلهج قائلا

أنت المطاع فما تشاء وما تريد

وكذاك كل موحد مهما يكن

فوق البسيطة في جموع أو وحيد

حتما يدين بطاعة لخليفة ال

إسلام جهرا لا يرى عنها محيد

قلدتها فطفقت تنظم عقدها

بسياسة مسبارها الفكر السديد

براً وبحرا بالقلاع حرستها

وعلى الثغور يذود جحفلك الشديد

وجهت للحرم الشريف عناية

ومددت من بغداد ناسكك الحديد

مهدت من سبل المعارف ما به

سهل التناول فاستبحت لها البريد

ذللت كل الصعب أعليت الهدى

واصلت بالأسلاك عرشك للمريد

ألفت بين قلوبنا فتعانقت

بالهند فاس والولاء غدا أكيد

أبديت ما لم يبده القدماء من

آبائك العظما إلى عبد المجيد

فقذفت رعيا في قلوب طالما

خرقت سياستها بحور أمن جليد

عجزوا وقد رمقوا الردى فتعاهدوا

ضلت مداركهم عن البيت القصيد

فليحمد الأقوام حالا نالهم

فيه اكتساب أو فمولانا شديد

لاحت دلائل حققت فيك الرجا

يا كعبة الآمال يا وجه السعيد

حقق رجاء أنت تعلم أسه

شئمت مسامعنا من العهد الجديد

مدح الألى مدحوا وما مدحي سوى

بذل الرشاد وان تكن أنت الرشيد

أنت الذي يرجى لها فانهض ولا

تسمع مراشد من يقول كما يريد

ابسط يديك إلى الجهات مراقبا

قطب الشمال وجاوزن بحر السفيد

أيامك الغراء اقبال فلا

تمهل وحرك ساكنا كي تستفيد

عش سالما منصور أبطال سموا

بعظيم نصرك في مطاردة العنيد

تختال في حلل السيادة رافلا

برياض أنس زاهرات كل عيد

وسمو عباس المفخم فليعش

في عز ملك شامخ شهما رشيد

وعلى النبي محمد صلوات من

جعل الخليفة بعده عبد الحميد

ما ابن البروني هزه طرب الرضا

والعفو قبل نهاية الحكم الشديد

المطلوب:

- **استخرج خصائص الأسلوب عند الشاعر.**
- **هل تراه مقلّدا أم مجددا؟ ولماذا؟**

قال الشاعر محمد بن براهيم المراكشي في قصيدة بِمَا بيننا مِن حُرمةٍ

المجلس العلمي

بِمَا بيننا مِن حُرمةٍ أيها الصَّحبُ

دَعُوني وما يَقْوَى على حَمِله القلبُ

فإني مَدهِيٌ بخَطبٍ يَسُوءُني

وعَيشِي في هَذا الزمانِ هُوَ الخَطبُ

فلا تُنكِروا مِنِّي دُموعا سكَبتُها

تُخفِّفُ أحزَاني دموعٌ لها سَكبُ

وآبناءُ هذا الدهرِ إلا أقلَّهُم

ظواهرُهم سِلمٌ وباطِنُهم حَربُ

فما لِي وأقواماً بُليتُ بحِقدهِم

ومَا نَشبَت بيني وبينهُمُ حَربُ

رأيتهُمُ مِن جَانبِي في تطَاوُلٍ

وليسُوا بأكفَائِي وما ضَمَّنا سِربُ

ومَا ليَ إربٌ عِندهُم مُتَطلَّبٌ

ولالهُمُ عندِي فأعرفُهُ إربُ

أضرَّهُمُ مِنِّي الذي يعرفُونَه

لِساني إذا جرَّدته صارمٌ عضبُ

ألا دَع سعيرَ الحِقدِ يَغلي بقلبِهِم

فإنَّ سعيرَ الحقدِ في القلبِ لاَ يخبُو

نَواكِسُ أبصَارٍ أمامِي فإن أغِب

تطاولَ رأسٌ منهُمُ وانبرَى السَّبُّ

ويُضحِكُنِي مِنهم إلَىَّ تسَابقٌ

ليُخبِرَني خِبٌّ بمَا قالَه خِبُّ

كذلك أربَابُ المَخازِي إذا هُمُ

مخَازيَهُم أنهَوا تَملَّكَهُم رُعبُ

أما يَضحكُ الكَلبُ المَهتَّمُ نَابُه

إذَا هُوَ عَن أنيابِه كَشَّرَ الكَلبُ

وأَبغَضُ ما عندِي التحبُّبُ مِنهُمُ

وبُغضُهمُ واللهِ عندِي هُوَ الحبُّ

فأَفقِدُ في مَراهُم كلَّ راحَتي

فقُربُهمُ بُعدٌ وبُعدُهمُ قُربُ

ومَا ضرَّهُم أخزاهُمُ اللهُ أنني

لِسَانيَ سبَّاقٌ وعِرضُهُمُ رَحبُ

عرفتهُم أما الوفاءُ علَيهِمُ

فصَعبٌ وأما الغدرُ فَهوَ لَهم دأبُ

كلامهُمُ رجسٌ وخُلطَتُهُم أدىً

ورُؤيتُهم شُؤمٌ وذِكرهُم كَربُ

أخِسَّاءُ خُلقٍ سَافِلاتٌ نفوسُهُم

طِباعٌ عليهَا مُذ فِطامِهِمُ شَبُّوا

طباعُهُم تُنبِيكَ أنَّ أُصولَهم

تَبَرَّأ مِن أنسَابِها العُجمُ والعُربُ

مناظِرهُم تُعدِي فحسبُكَ مِنهُمُ

فِرارٌ فهم بين الورَى إبلٌ جُربُ

ثِقَالٌ على الأرواح إن هُم تكلَّمُوا

وإن سَكتُوا فالمقتُ عنهُمُ يَنصَبُّ

لقَد خبثت مِنهم نفوسٌ شَريرَةٌ

وخُبثُ النفُوسِ الداءُ ليسَ له طِبُّ

وقد أظلَمت بالإثمِ منهم بوَاطِنٌ

فنُورُ الهُدَى لو حلَّ باطِنُهم يَخبُو

وإياكَ ذِكر العِرضِ منهم فإنَّهُ

على نَتنِ أجيافِ الكلابِ لقَد يَربُو

وتأكلُ نارُ الهجوِ يابسَ عِرضِهِم

كحَطبٍ وأعراضُ اللئام هيَ الحطبُ

هَجوتُهمُ لا بل هجَوتُ بهَجوهِم

قَريضِي فما للكلبِ بالصَّارم الضَّربُ

ولَو قلتُ مدحا فيهِمُ ماتَ حِينهُ

وإن قلتُ هجواً ردَّدَ الشرقُ والغربُ

ألم ينظرُوا بينَ الأنامِ مقامَهُم

فيا قَلبَهُم لو كانَ عندَهُمُ قَلبُ

أتيهُ وأَزهُو في الأنَامِ مُجرِّرا

لأَذيالِ مَجدٍ في يدِي الصارمُ العضبُ

أدوسُ بأقدامِي جِبَاه عزِيزِهم

وغن رامَ رفعَ الرأسِ فالهَلكُ والعَطبُ

وأرفَعُ رأسِي شامخَ الأنفِ في الورَى

ولِي من فِعالي المالُ والجاهُ والصَّحبُ

وتَعرفُني الأخلاقُ والفَضلُ والنُّهَى

وتَعرفُنِي الآدابُ والعلمُ والكُتبُ

ويعرفُهم بَعدَ النذَالةِ لُؤمُهُم

وغَدرٌ ومكرٌ والخِيانَةُ والنَّهبُ

مَتى حُجِزَت عَني المَراقِيُ والعُلاَ

وهل بينَ ذي مَجدٍ وبينَ العُلاَ حُجبُ

ومَا أنا في أهلِ القريضِ كمعشَرٍ

إذا مُنِحوا ذَبُّوا وإن مُنِعُوا سبُّوا

وإن كانَ لِي في الشعرِ مُتعَةُ خاطِرٍ

فَوِردُهُ لِي عذبٌ ورَبعُهُ لي خِصبُ

قَريضِيَ تُوحِيهِ إلَيَّ قَريحتِي

فَأشدُو به شَدوا به يُخلَبُ اللُّبُ

معانِيه لِي قد أسفَرت عَن لِثامِها

ويأتِي ذَلولاً منه لي يَسهُلُ الصَّعبُ

أطوفُ على أزهارِهِ مُتَشَوِّقاً

وأشرَبُ مِن سَلسَالِهِ وهوَ لي عَذبُ

وتَجثُو معَانيهِ أمامِيَ خُضَّعاً

وقافِية عَصمَاءَ لم يُجدِهضا هُربُ

ولم أحترِف يوماً مَديحَ قصَائِدي

إذا جَاء ذُو مَدحٍ وفي يَدِه قَعبُ

بَلى إنَّ مَدحِي في البريَّةِ مُوقَفٌ

علَى مفردٍ تَهمِي بِنَائِلِهِ السُّحبُ

فَيعرِفُني رَغمَ العِدَا وكَلاَمُهُم

وأعرِفُهُ والنَّدبُ يَعرِفه النَّدبُ

ولَستَ تَرَانِي واصِفاً غيرَ خَمرةٍ

إذا كنتُ في حَفلٍ وطَابَ لِيَ الشُّربُ

يُمازِجُهَا السَّاقِي فَيطفُو حُبَابُهَا

أيطفُو بسَطحِ الماءِ لُؤلُؤهُ الرَّطبُ

أوِ الحَدقَ المُرضَى وهُدبَ شِفَارِها

إذا ما ارتَخت في خدِّها تِلكمُ الهُدبُ

أو البَانةَ المَيسَاءَ أُحرَمُ ضَمَّهَا

وقَد ضمَّها وَيلاه في أهيفٍ ثَوبُ

ولي خيرُ إخوانٍ يوَدُّون عِشرَتي

ولِي قَد تَصافَى منهُمُ الوُدُّ والحُبُّ

يُحِبونَني حُبا أحِبُّهُمُ بِه

فَمِنِي لهم قَلبٌ ولي منهُمُ قلبُ

أموتُ بِهِم بُعدا وأنعَشُ كلَّمَا

نَسيما بِذكراهُم على خَاطري هَبُّوا

مناجِيدُ أقيالٍ حُضورٌ لدَى النَّدَى

أَلُوذُ بهم في الكربِ إن دَعهَمَ الكَربُ

أَلبَّاءُ أكياسٌ لَطِيفٌ حدِيثُهُم

كأنفاسِ زَهرِ الرَّوضِ بَاكرَه الصَّوبُ

يفوحُ أريجُ المسكِ إن ذُكِرَ اسمُهم

فأذكرُهُم والطِّيبُ يعشَقُهُ القَلبُ

هُمُ في الورَى حَسبِي وأنَّ سِواهُمُ

بأسفَل أقدامِي عَسيفِ الذُرَى حَطبُ

فَيا سَعدَ مَن في الناسِ قد طَاب ذكرُهُ

وياشُؤمَ من بالذَّمِّ فِيه مَشى الركبُ

وما المَرءُ إلاَّ ذِكرُه بفضِيلَةٍ

وما ذِكرهُ إلا فِعالُه والكَسبُ

فَثابِر على كَسبِ المحَامِد في الوَرى

ليشكرَكَ التاريخُ والناسُ والربّ

المطلوب:

1- قسّم النص إلى وحدات، مستخرجا أهم الأفكار الواردة فيه.

2- حلل النص وفق العناصر التالية:

2-1- الإيقاع

2-2-النسق الثنائي

2-3-التكرار

2-4-نسق التقليدية

المصادر والمراجع:

الكتب:

1-أبو القاسم الشابي، أغاني الحياة، الدار التونسية للنشر، 1970

2-ديوان امرئ القيس (تحقيق أبو الفضل إبراهيم) دار المعارف، 1984.

3-سليمان العيسى، المجموعة الكاملة دار الشورى بيروت، مج 1 ، د/ت.

4-سوف عبيد، حركات الشعر الجديد بتونس، 2008

5-صالح سويسي القيرواني، حياته ومختار من كتاباته، دراسة واختيار أحمد بن عبد الله، المركز الوطني للاتصال الثقافي، تونس، مطبعة المغرب تونس، ط1، 2000

6-الطاهر الحداد، الأعمال الكاملة، م3، ط1، الدار العربية للكتاب تونس، 1999

7-عبد الحميد عبد الله الهرامة وعمار محمد حجيادر، الشعر الليبي في القرن العشرين: قصائد مختارة لمئة شاعر، دار الكتاب الجديد المتحدة، بنغازي، ط1، 2000

8-كامل سلمان الجبوري، معجم الشعراء من العصر الجاهلي حتى سنة 2002 م ، ج3، دار الكتب العلمية بيروت

9-كامل سليمان الجبوري، معجم الأدباء من العصر الجاهلي إلى سنة 2006، ج6، دار الكتب العلمية بيروت.

10- لويس معلوف المنجد في اللغة، طبعة جديدة، ط19، المطبعة الكاثوليكية بيروت

11- محمد الخضر حسن ، موسوعة الأعمال الكاملة للإمام ج7، دار النوادر، دمشق، 2010

1-محمد العربي صُمادِح، الأفق، الشركة التونسية لفنون الرسم، 1953 تونس

المقالات:

2-أسماء بلالي، الثورة الجزائرية في الشعر التونسي من خلال مجلة الفكر التونسية، إشكالات، عدد 9، ماي 2016

3-عبد القادر عليمي، المنجز الشعري التونسي في الثلث الأول من القرن العشرين، بين إملاءات النقد وشواهد العصرية، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية عدد 2، سنة 2014

4-عمارة بوجمعة، تحولات الإيقاع في الكتابة الشعرية الحديثة، مجلة تاريخ العلوم، مج3- عدد6

5-محمد علي آذرشب، الزيتونيون والشعر التونسي الحديث، ثقافتنا للدراسات والبحوث، ج5، عدد 17،1429- 2008

6-محمد العربي الكبادي عثمان الكعاك شيخ الأدباء كأنك تراه، مجلة الفكر عدد خاص السنة 6 عدد 1، 1961

7-نجية مولود الكلامي، البعد القومي في شعر أحمد الشارف، مجلة كلية الآداب علمية محكمة، جامعة الزاوية، ليبيا، ج2يونيو 2016، دار رؤية، الزاوية.

المواقع الالكترونية:

1-كمال الكافي، التونسي خريّف الشعر طامة كبرى والشعراء ماتوا، مجلة إلكترونية المدينة، الأربعاء 06 04 2011 تصفح يوم 15 10 2021

2-كمال الرياحي، محمد البشروش محطم الأصنام، جمهورية.كوم، تصفح يوم 18 أكتوبر 2021

3-معجم عبد العزيز سعود البابطين على النات (مصطفى بن محمد بن إبراهيم بن زكري) اطلع عليه بتاريخ 12 12 2020

4-عمر السعيدي لغريبي، النات للمندوبية الجهوية للثقافة بتوزر سنة 2011. اطلع عليه يوم 11 أوت 2021 -http://kuttabkebili.blogspot.com/2014/01/blog post_6732.html

5-معجم البابطين، محمد الباجي بن محمد المسعودي البوبكري التبرسقي- https://www.almoajam.org/lists/inner/5411 اطلع عليه يوم 12 فيفري 2020

6-محمد الصالح بن عمر، الشعر التونسي في قرن ونصف، 1861-2011، على النات مشارف على الرابط التالي:
http://www.masharif.com/ar/2020/05/21/%D8%A7%D9%84%D8

المذكرات والأطاريح الجامعية:

سعيد جلاوي، الثورة الجزائرية من خلال مجلة "الفكر" التونسية 1955 / 1962، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2009/2008